حالنا ومآلنا

الإمام الصادق المهدي

٢٠١٥/٩/٩



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب: حالنا ومآلنا

المؤلف : الإمام الصادق المهدي

رقم الايداع / ٢٦٠٩١/٢٠١٥

الطبعة الأولى ٢٠١٥



مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ ﴾

[يونس: ٣٥]

«إِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ»

(حديث شريف رواه الإمام أحمد بن حنبل)

وأعـز الأشـيـاء عنـدي وجـوداً صحة القول في الزمان المـريض

(أبو الفتح البستي)

محتويات

المقدّمة

على نهج ابن خلدون[1]: كل ظاهرة في الوجود الطبيعي والاجتماعي تخضع لقوانين راتبة:

ما يحدث في أوطاننا الآن نتيجة حتمية لمقدمات سبقتها ولا تجدي معالجة النتائج دون إزالة المقدمات.

الأمة الإسلامية تواجه تأزماً حضارياً، وفكرياً، وسياسياً. أسبابه شراكة بين تقصير أهل الشأن واستغلال الدخلاء لهم خدمة لمصالحهم.

هذا الكتاب يتناول التأزم في نطاق الأمة العربية الممتدة ما بين المحيط إلى الخليج. وأقسامها هي: المشرق، والمغرب، ووادي النيل، والخليج.

الأزمة التي تواجه المنطقة من هولها دفعت كثيرين لتفسيرها بالمؤامرة.

العيوب داخلية وحتى إتاحة الفرصة للدخيل لاستغلالها عيب داخلي. هذا الكتاب قد يكون مدهشاً لذلك أقدم له بأنني في ظروف مفصلية قدمت تشخيصاً وحلولاً أثبتت الأيام صحتها. أقول:

١. لدى حرب اليمن في الستينيات خاطبت الملك فيصل والرئيس جمال عبد الناصر في عام ١٩٦٨م ناصحاً باقتراح توفيقي. هاجمني أنصار الطرفين. ولكن ما اتفق عليه الزعيمان كان مطابقاً.

(١) ابن خلدون (الأربعاء ١ رمضان ٧٣٢ هـ/ ٢٧ مايو ١٣٣٢م- الجمعة ٢٨ رمضان ٨٠٨ هـ/ ١٩ مارس ١٤٠٦م): ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد (خلدون) الحضرمي. يعتبر مؤسس علم الاجتماع الحديث أهم آثاره (المقدمة) التي ضمنها آراءه في الاجتماع البشري.

٢. لدى إعلان الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش عزمه غـزو العـراق في أبريل ٢٠٠٣م بادرت قبل الغزو بإرساله خطاباً قلت فيه له: إنك لن تجـد صـعوبة في هزيمة القوات المسلحة العراقية. ولكن سيكون نصر عسكري وللظروف التـي أراها سوف تعقبه هزيمة سياسية فامسك عن الغزو ولكنـه فعـل مـا فعـل وكانـت النتيجة كما قلت له.

٣. أبرمت اتفاقية السلام المسمى شامل في السودان في يناير ٢٠٠٥م ورحب بها غالبية الناس داخل السودان وخارجه. ولكننـي في مـايو ٢٠٠٥م نشـرت بيانـاً حللت الاتفاقية وقلت إنها لن تحقق أهدافها المزعومة لعيوب بنيويـة فيهـا، قلـت لن تحقق الوحدة، ولا السلام الشامل، ولا التحول الديمقراطي. وقد كان.

٤. وقبل ذهابه للتفاوض بشـأن سـلام دارفـور زارني المرحـوم د. مجـذوب الخليفة المكلف بالتفاوض من ناحية الحكومة. وسألني رأيي. قلت له ثمة ثـلاث نقاط إذا التزمت بها فسوف تتمكن من إبرام اتفاق مع حركتي دارفور المسلحتين. وفصلت له النقاط. لكنه رفضـها وذهـب إلى أبوجـا وأبـرم اتفاقـاً ناقصـاً في مـايو ٢٠٠٦م والنتيجة أن الحرب استمرت حتى يومنا هذا (٢٠١٥). وقد علمـت مـن مفاوضين حضروا أن النقاط المقترحة كانت كفيلـة بـإبرام اتفـاق محكـم محقـق للسلام الشامل في دارفور.

٥. وبعد انفصال الجنوب تراكمت نذر حرب في جنوب كردفان وفي جنـوب النيل الأزرق.

هذا مع ظواهر سالبة أخـرى في المجـالات الاقتصـادية، والأمنيـة، والدوليـة. اقترحنا لرئيس الدولة السودانية في ٢٤/ ٣/ ٢٠١١م برنامجاً من ١٠ نقـاط لينفـذه رئيس توافقي ما سوف يمنع اندلاع حرب أهلية جديدة ويخلص الـبلاد. وسـلمته بذلك مكتوباً. لم يستجب ووقع المحظور.

٦. ولدي انفجـار مظـاهرات بنغـازي في ليبيـا في ١٧/ ٢/ ٢٠١١م خاطبـت

العقيد معمر القذافي[(١)] رحمه الله أن يستجيب لمطالب المتظاهرين وهي معقولة وألا يستخدم العنف ضدهم. لم يستجب وتصاعد الموقف. قدمت له نصحاً آخر وهو تسليم السلطة للواء أبو بكر يونس رحمه الله وتفويضه للاتفاق مع الثوار حتى لا يقع تدخل دولي أراه في الأفق. لم يستجب فكان ما كان.

٧. في عام ٢٠١٣م وفي إطار منتدى الوسطية العالمي اقترحنا للرئيس المصري السابق محمد مرسي[(٢)] معادلة لتسوية سلمية بينهم وبين جبهة الإنقاذ تنطلق من إلغاء الإعلان الدستوري الذي أصدره في نوفمبر ٢٠١٢م ويجري تعديلاً محدداً في مشروع الدستور المقترح وتعديلاً وزارياً لتوسيع قاعدة الحكومة على أن يوافق الآخرون على استمرار رئاسته حتى نهاية مدتها. وافق أن يدرس الاقتراح وأبدت جبهة الإنقاذ استعدادها للتفاهم. ولكن قيادة الجماعة في المقطم قفلت الباب فانفتح الطريق لثلاثين يونيو ٢٠١٤م وما أعقبه من أحداث.

٨. وفي عام ٢٠١٥م بعد صدور حكم الإعدام على الرئيس المصري السابق محمد مرسي ومرشد الأخوان خاطبت الرئيس المصري محمد عبد الفتاح السيسي أن يستخدم صلاحياته بالعفو عن الإعدام. ووعدت أن يفتح ذلك نافذة تمكننا من العمل على تحقيق حل توفيقي بموجبه يجري الأخوان مراجعات كما فعلت الحركات الاخوانية في بلدان أخرى. موقفنا هو أن الحركة الاخوانية بها تيارات أهمها تيار هضيبي وآخر قطبي. خطتنا سوف ترجح التيار الهضيبي والإعدام سوف يرجح التيار القطبي. ومصلحة مصر في أن تتجه التيارات المنادية بالإسلام نحو قبول الخيار الديمقراطي، والتعددية السياسية، ونبذ العنف. هذا الطلب ما زال معلقاً (أكتوبر ٢٠١٥م).

(١) معمر القذافي (العقيد القذافي) (١٩٤٢ – ٢٠١١م). حكم ليبيا لأكثر من ٤٢ سنة، تمت الإطاحة بحكمه بعد قيام ثورة ١٧ فبراير ٢٠١١م الليبية واغتيل من قبل الثوار في ٢٠ أكتوبر ٢٠١١م.

(٢) محمد محمد مرسي عيسى العياط (٨ أغسطس١٩٥١م): رئيس حزب العدالة والحرية المصري والرئيس الخامس لجمهورية مصر العربية أول رئيس مدني وأول رئيس منتخب للبلاد بعد ثورة ٢٥ يناير، تم عزله وحبسه بعد تحرك الجيش في ٢٠١٣ استجابة لحشود ٣٠ يونيو.

٩. بعد انقلاب يونيو ١٩٨٩م في السودان أخذت من السجن إلى مكان معزول في الخلاء وهددوني أن أسجل اعترافاً بفشل النظام الديمقراطي وإلا أجريت لي محاكمة ميدانية (التاريخ ٢/ ١٠/ ١٩٨٩م) قلت لهم انتم الفاشلون وسوف تحصدون الهشيم وسوف تعود الديمقراطية. وبعد تهديدات سكتوا ومن السجن نشرت كتاباً بعنوان: «الديمقراطية راجحة (أي بالمقارنة للدكتاتورية) وعائدة» وها هي الحقيقة الآن واضحة فالنظام الدكتاتوري فاشل ويحاول العودة للديمقراطية.

١٠. وفي نهاية الحرب الباردة (١٩٤٨ - ١٩٩٠م) وما زلت في السجن نشرت كتاباً بعنوان: «تحديات التسعينيات» قلت فيه: «إن جبهة المواجهة العالمية بعد الحرب الباردة سوف تنتقل من مواجهة بين الشرق والغرب. إلى مواجهة بين شمال الكرة الأرضية وجنوبها. وعددت في الكتاب تظلم شعوب الجنوب من دول وشعوب الشمال. وقلت إنه ما لم تخاطب مظالم أهل الجنوب بصورة جادة فإن سكان الجنوب حتى إذا لم تسندهم حكوماتهم سوف يستخدمون أسلحة الضرار الشامل وهي القنبلة السكانية، والقنبلة الصحية، والقنبلة البيئية، وقنبلة المخدرات، والهجرة غير القانونية، والإرعاب (الإرهاب) واختراق ضوابط أسلحة الدمار الشامل. هذا ما نشرته في عام ١٩٨٩م من داخل السجن وها هي اليوم (٢٠١٥م). مشاكل الهجرة غير القانونية والإرهاب تشغل العالم بهذه الخلفية أقدم على تشخيص أزمات منطقتنا الحالية واقترح وسائل التصدي لها وإلا فالويل والثبور وعظائم الأمور:

أولاً: نالت بلداننا استقلالها من دول الاحتلال البريطاني، والفرنسي، والايطالي أي الأوربي وقامت فيها دول يحكمها ملوك أو برلمانات.

الدول المعنية في منطقتنا لم تقم على وحدة وطنية لإنجاح مشروع الدولة الوطنية. ونظام الدولة الوطنية لم يكن مرضياً لشعوب تشدها أشواق قومية ودينية لكيانات أكبر.

اجتاحت الانقلابات العسكرية النظم الجمهورية وتحقق استقرار في المنطقة في ظل نظم عسكرية ذات مشروع قومي بقيادة ناصرية وقيادة بعثية. النظم القومية الناصرية والبعثية رفعت شعارات طموحة فاقت قدراتها في التصدي للمشروع الصهيوني وسنده الامبريالي. المشروع القومي واجه ضربة قاضية في حرب يونيو ١٩٦٧م.

فشل المشروع القومي وتطلع الشعوب لحل مشاكلها الحياتية ولما يشبع آمالها في انتماء أوسع وما يحقق تخلصها من التبعية الفكرية والثقافية والسياسية للهيمنة الدولية فتح الباب واسعاً لمشروع إسلامي، المشروع الإسلامي لم يكن غائباً تماماً، ولكن استجدت ظروف بعثته.

المشروع الإسلامي لم يكن منفرداً في الساحة الفكرية والسياسية ونافسه فكر لبرالي. وعلماني، واشتراكي، وقومي، ولكن حاز رأس المال الاجتماعي الأكبر في البلدان المعنية.

ثانياً: ولكن مهما كانت رؤى الشعوب فإن البلدان المعنية صارت خاضعة لنظم حكم وراثية أو جمهورية مانعة لحرية الفكر وللحريات العامة.

هذا «الاستقرار» قوضه أمران هما:

- احتل الاتحاد السوفيتي أفغانستان في عام ١٩٧٩م فحرك ذلك الجماعات الإسلامية والقبلية في أفغانستان للمقاومة. جماعات إسلامية في كثير من البلدان تحركت لدعم مقاومة السوفيت في أفغانستان. باسم الجهاد.

تنظيم القاعدة[1] نشأ من هذا الظرف ووجد دعماً أمريكياً وعربياً كبيراً. موله، ونظمه، وسلحه بصورة غير مسبوقة. نجح تنظيم القاعدة واسمه الكامل «قاعدة الجهاد» مع المجاهدين الأفغان في إجلاء السوفيت من أفغانستان على أساس

(١) **القاعدة**، منظمة وحركة جهادوية متعددة الجنسيات أسسها حوالي ١٩٨٩م أسامة بن لادن وعدد من العرب الأفغان (أي الذين شاركوا في حرب التحرير الأفغانية من الغزو السوفيتي الشيوعي).

تحرير أرض المسلمين من الغزاة. ثم اتجه التنظيم على نفس مبدأ تحرير أرض المسلمين لإجلاء الوجود الأمريكي. كانوا في أفغانستان يستخدمون حرب العصابات وصاروا في مواجهة الأمريكان سيستخدمون الأساليب الإرعابية (الإرهابية). الولايات المتحدة أعلنت حرباً «عالمية» ضد طالبان في أفغانستان باعتبارهم حواضن للقاعدة. وضد القاعدة. ولكن هنالك قاعدة سوسيولوجية: إذا توافرت أسباب ثقافية وسياسية للمقاومة لا تجدي معها الوسائل العسكرية وحدها، لذلك طالبان رغم مواجهتها بناتو و١٥٠ ألف جندي لمدة ١٤ عام (٢٠٠١- ٢٠١٥م) تحولت في نظر سكان أفغانستان لحركة تحرير وصارت أقوى الآن مما كانت عليه. والقاعدة التي كانت محصورة في أفغانستان صارت لها أكثر من ١٠ مراكز الآن وهي منتفع كبير من الحرب في اليمن باحتلال المكلا والتمدد في اليمن.

- احتلال العراق والسياسات المتبعة فيه أدت إلى أوضاع أشعرت أهل السنة بالتهميش. هذا بالإضافة لغبن أهل السنة في سوريا أدى إلى تحول فرع القاعدة في أرض الرافدين إلى دولة الخلافة في العراق والشام (داعش). وبعد انتشار داعش في عدد كبير من المواقع أعلنت قيادة داعش الدولة الإسلامية.

- نفس السياسة المرتكزة على قيادة أجنبية وعلى الوسائل العسكرية واجهت الدولة الإسلامية لمدة ١٤ شهراً حتى الآن. ولأن هذا المجهود لا يخاطب المسببات فإن الدولة الإسلامية التي تستخدم أفظع الوسائل الإرعابية تتمدد ولا تنحسر.

القاعدة، وداعش، وفروعهما الكثيرة يعتقدان أن نظم الدولة الوطنية الحاكمة هشة، وأن الشعوب غير راضية بالحكام ما خلق فراغاً هم يريدون ملأه. كما يعتقدان أن الدول الكبرى تستغل الشعوب لمصالحها ما يوجب التصدي لها لتحرير هذه الشعوب.

تعدد فروع القاعدة وداعش أو الدولـة الإسـلامية واحتشـاد أعـداد كبيـرة مـن الشباب للانضمام إليهم رغم قسوة ووحشية أساليبهم يدل على وجود عوامل ذاتية وموضوعية تفسر وإن لم تبرر هذه الحركات.

- **الأمر الثاني**: القاعدة، وداعش، و«الدولة الإسلامية» هي حركات استغلت هشاشة الدولة الوطنية في مجال تحركها.

هنالك عامل آخر أضعف الدولـة الوطنيـة في الشـرق العربـي، وهـو التنـاقض الحاد بين الحكومات والشعوب.

وفي عام ٢٠٠٢م نشر برنامج الأمـم المتحدة الإنمائي تقريراً بعنـوان: «التنميـة البشرية في البلاد العربية» وثق لضعف التنمية البشرية كما يدل عليها غياب الحكم الراشد.

وفي عام ٢٠٠٦م قمنا في إطار نادي مدريد بدراسة الموقف السياسي في ٦ دول عربيـة. ثـم عقـدنا مـؤتمراً شـاركت فيـه ١٩ دولـة عربيـة بوفـود تمثـل حكامـاً ومعارضين. صدر عن هذا المؤتمر (إعلان البحر الميت) في ينـاير ٢٠٠٨م. هـذا الإعلان ركز على حقيقة الاحتقان بين الحكومات والشعوب وجاء فيه: «ما لم يجر حوار جاد بين الحكام وممثلي الشعوب يحقق إصلاحاً فالأمر ينذر بانفجار».

ومن تونس في عام ٢٠١٠م انطلق الانفجار الذي تناسل حتى قضى على أربعـة رؤساء دول في تونس، ومصر، وليبيا واليمن.

كانت نظـم الحكـم في هـذه البلـدان قـد اسـتخدمت أحـدث أسـاليب القمـع المقتبسة مـن السـتالينية والفاشسـتية فاسـتطاعوا أن يجففـوا مصـادر المعارضـة السياسية والنقابية، وأحكموا القبضة الحديدية.

ولكـن وسـائل التواصـل الاجتمـاعي المرتبطـة بثـورة الاتصـالات وثـورة المعلومات أتاحت لشباب الفيـس بـوك، والتـويتر، والانترنـت، واليوتيـوب، أن يتحرك خارج رادارات الأجهـزة الأمنيـة، هـؤلاء اسـتطاعوا أن يجمعـوا حشـوداً

شعبية غير مسبوقة ما فجر ثورات «الربيع العربي» الرائعة.

عفوية الثورات وافتقارها لبرامج محددة وقيادات موجهة أدى لولاية أمر تديرها قوى غير ثورية. الإدارات التي وليت الأمر في دول ثورة الربيع العربي الناجحة كانت إدارات غير ثورية. ولذلك برمجوا انتخابات خالية من أية تدابير ثورية سابقة لها.

هذه الانتخابات أظهرت مدى ضعف المنظمات السياسية التي عانت من عقود من القمع وقزمت.

هنالك عدد من المنظمات السياسية ذات المرجعية الإسلامية منخرطة في العملية السياسية. الانتخابات التي أجريت بعد ثورات «الربيع العربي» أظهرت شعبية المنظمات الإسلامية المنخرطة في العملية السياسية. وتعود شعبيتها لمناداتها بشعارات إسلامية تخاطب الوجدان الشعبي، ولأنها أثناء الحكم المباد احتفظت بشبكات تواصل عبر أنشطة اجتماعية ودينية.

هذه الحركات مع قدراتها التنظيمية والمالية الكبيرة تعاني من درجة متدنية من الوعي السياسي. نعم تغلبوا على منافسيهم اللبراليين، والاشتراكيين، ولكنهم لم يملكوا رؤية حقيقية لكيفية التعامل مع مؤسسات الدولة الحديثة، ولا لإدارة الاقتصاد الحديث، ولا للمجتمع الدولي الحديث. والرؤية غير واضحة حول إقامة الخلافة التقليدية. وغير واضحة حول برنامج تطبيق الشريعة الذي نادوا به. ولم يكونوا مستعدين لتعامل مدروس مع مؤسسات الدولة التي نشأت في بيئة مدنية، ولا للتعامل مع المجتمع الحديث المدني والإعلامي، والفني، ولا المجتمع الدولي.

في تونس وفي المغرب قرروا التعايش مع ذلك الواقع المغاير والقبول بنصيب محدود من ولاية الأمر ولكن في السودان الذي استولت فيه حركة ذات مرجعية أخوانية على ولاية الأمر عن طريق الانقلاب أسسوا لسابقة مفزعة بربط التوجه

الإسلامي بالاستبداد والانفراد واحتكار السلطة والثروة وقمع الآخرين. وفي مصر رغم حصول الحركة الأخوانية على أغلبية انتخابية فإن نذر الانفراد بالأمر والتمكين، كما في التجربة السودانية، لا سيما عندما حصن رئيس الدولة قراراته من رقابة القضاء بالإعلان الدستوري في نوفمبر ٢٠١٢م، دفعت بموجة احتجاج شعبي هائلة أدت لحشود ٣٠ يونيو ٢٠١٣م الضخمة والإطاحة بسلطة الأخوان المنتخبة.

هؤلاء الأخوان نظموا مقاومة هائلة وصلت قمتها في مسجد رابعة وميدان النهضة.

داخل الأخوان المسلمين عدد من التيارات أهمها تيار معتدل يقتدي بالمرشد الأسبق الشيخ حسن الهضيبي[١] كما عبر عنه في كتابه «دعاة لا قضاة» وتيار متشدد يقتدي بالأستاذ سيد قطب[٢] كما عبر عنه في كتابه «معالم في الطريق».

إذا جرت مصالحة فإن التيار المعتدل يرجى أن يتغلب. وإذا صعدت المواجهة فإن التيار المتشدد سوف يتغلب.

الحركة الأخوانية متجذرة في المجتمع المصري وفي خارج مصر ولديها خبرات كبيرة في العمل السري ما يعني أن الحركة في ظل القمع سوف يكون لها وجود تحت الأرض وفي خارج الحدود.

الوسط الإسلامي الناشط سياسياً فيه بخلاف الأخوان أحزاب سياسية مستعدة لقبول العملية السياسية بأحزابها وانتخاباتها ودستورها. هذه الأحزاب كثيرة أذكر منها: أحزاب: النور، مصر القوية، الوسط، العمل الجديد، الفضيلة، الحضارة، البناء والتنمية، الاستقلال، الأصالة، الوطن، الإصلاح.

(١) حسن الهضيبي (١٩٨٩١- ١٩٧٤م) قاضي مصري والمرشد الثاني لجماعة الإخوان المسلمون.

(٢) سيد قطب إبراهيم (١٩٠٦ - ١٩٦٦م) ناشط وكاتب مصري إسلامي تعرض للبطش الناصري وللإعدام في النهاية وقد أثرت كتبه على الحركات الإسلامية في مصر والعالم الإسلامي.

هذه الأحزاب يمكن ضمن مناخ سياسي معين أن تعتدل. ويمكن في مناخ سياسي آخر أن تتشدد لا سيما وهنالك دعوى ضدها تطالب بحلها باعتبارها أحزاب دينية يحظرها الدستور.

لا شك أن هذه الأحزاب تتطلع للانخراط في العملية السياسية وتطلق على نفسها أسماء قابلة لضم كافة المواطنين رغم اختلاف الملة. وإلى جانب هذه الأحزاب توجد حركات تسقط المواطنة تماماً وتنادي بتطبيق إلزامي للشريعة بوسائل جهادوية، أهم هذه الحركات: أنصار بيت المقدس، هؤلاء أعلنوا الولاء للبغدادي (الخلافة) وكونوا ولاية سيناء. وتنظيم أجناد مصر، وكتيبة المرابطين التي أسسها ضابط منشق من الجيش المصري.

وهناك حركات أخرى: التوحيد والجهاد، والناجون من النار، والعقاب الثوري، وجند الإسلام، والتكفير والهجرة. وهلم جرا. هؤلاء جميعاً ينادون بالخلافة التاريخية وتطبيق الشريعة بأحكام تقليدية وبالجهاد وسيلة لتحقيق ذلك.

كثرة هذه الحركات واتفاقها على مبادئ مشتركة وأساليب عنف مشتركة لا ينفع معهم الفهم التقليدي للإرهاب.

بل هم حركات متجذرة فكرياً واجتماعياً ومستعدة بهمة فدائية ما يوجب معرفة أسباب هذه الظاهرة المنتشرة فالمشهد في مصر ليس فريداً بل تشبهه مشاهد أخرى في المنطقة على نحو ما قال اليمني:

ما نال مصر نقمة أو نعمة

إلا وجدت لنا بذاك نصيبا

هؤلاء جميعا ينطلقون من:

- حاضنة دينية، وثقافية تدور حول الولاء والبراء وتصنف أنفسهم الفئة الناجية وتبيح لهم تكفير الآخرين واستباحة دمائهم.

- فهم للجهاد يلزمهم بآية السيف ويوجب عليهم جهاد الطلب وقهر الآخرين على سنة: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»(١).
- يعتبرون الواقع السياسي في بلدانهم واقعاً ظالماً فاسداً إزالته واجب ديني.
- يعتبرون حكوماتهم جائرة لأنها تستعين بالكفار وتخضع لهم.

هذه النقاط الأربع رابطة فكرية تستخدم الارعاب «الإرهاب» باعتباره وسيلة لشن حرب غير متكافئة لإقامة نظام الخلافة وهم يعتقدون أن نهجهم هذا واجب ديني.

أحداث أفغانستان صنعت القاعدة ثم تفرعت. وأحداث العراق وسوريا صنعت داعش فالدولة الإسلامية ثم تفرعت. والاقتتال في ليبيا فتح المجال لداعش ومن درنة ثم سرت صارت رافداً للدولة الإسلامية. وحرب اليمن أشعلت البلاد بحرب طائفية وتمددت القاعدة في عاصمة حضرموت. هذا معناه أن الحروب الطائفية، والغارات الدولية، إنما تخلق فراغات تملؤها حركتا القاعدة وداعش أو (الدولة الإسلامية).

صحيح أن غالبية المسلمين العددية غير منخرطة في حركتي القاعدة وداعش وكيان الخلافة ولكنهم صاروا يشكلون نسبة من الجماعات الناشطة. وهم يشكلون الآن بديلاً للدولة الوطنية المتآكلة، وللنظام الدولي الظالم.

إن أسوأ ما قد يحدث هو أن تؤدي السياسات نحو الأخوان المسلمين والأحزاب ذات المرجعية الإسلامية إلى تكتل جامع ينبذ العملية السياسية ويتحالف مع التكفيريين. هذا سيناريو ظلامي ولكنه ممكن.

الحقيقة هي أن أكثرية الدول الوطنية في المنطقة عاجزة لأنها متناقضة مع

(١) مسند بن حنبل.

شعوبها، ولأنها لا تكفل العدالة الاجتماعية، ولأنها في الغالب تعتمد في بقائها على دعم خارجي.

هذه العوامل يمكن أن تدفع قوى حديثة مدنية لتكرار سيناريو «الربيع العربي» وهدفها تغيير الواقع المرفوض بالقفز إلى الأمام.

ونفس تلك العوامل يمكن أن تدفع الدواعش إلى ثورات وهدفها تغيير الواقع المرفوض بالقفز إلى الوراء.

مشكلة «الربيع العربي» هي أنه مع إرضائه لتطلعات الشعوب غير مأمون العواقب كما أثبتت التجربة السورية، والتجربة الليبية، والتجربة اليمنية، فغياب عنصر المفاجأة جعل النظم الحاكمة مستعدة فواجهت تطلعات شعوبها بالقوة.

الحروب الأهلية التي أفرزتها تلك المواجهات زادت من كشف هشاشة نظم الدولة الوطنية القطرية. وكشفت عجز الجامعة العربية عن القيام بدور إسعافي. واستباحت شؤون المنطقة إلى درجة غير مسبوقة للتدخلات الأجنبية.

أطروحة هذا الكتاب هي أن الميل نحو أحد الأطراف يستدعي حركة نحو الطرف المضاد. هكذا تولد حالة التطرف.

الطرف السائد في أكثر بلداننا معالمه هي: طغيان متحكم، وظلم اجتماعي، واستلاب ثقافي، وخلل في توازن الولاءات المورثة، وتبعية للهيمنة الدولية.

هكذا كان نظام الشاهنشاه في إيران فاستدعى نقيضه في نظام ولاية الفقيه.

عوامل الرفض في البلاد السنية، ضمن عناصر أخرى سوف نوضحها فيما بعد، أدت لظاهرة طالبان في أفغانستان. والنتيجة إمارة ماضوية.

الهجمة العسكرية على نظام طالبان هزمته في أسابيع، ولكن العوامل الأخرى الثقافية، والسياسية، غابت عن الساحة ما جعل طالبان المقهورة عسكرياً تتمدد بوسائل دفاع أخرى، بل تهيمن على الساحة الأفغانية وتمتد نحو باكستان.

القاعدة وهي تنظيم تكون في ظروف الحرب ضد الغزو السـوفيتي لأفغانسـتان واجهته الآلة العسكرية الدولية، ولكنه منذ عـام ٢٠٠١م ورغـم اسـتهدافه صـمد وصارت له أدوار ملموسة في العراق، وفي سوريا، وفي مناطق أخرى باسم القاعـدة في أرض الرافدين، والقاعـدة في الجزيـرة العربيـة، والقاعـدة في المغـرب، وهلـم جراً.. بل صار للقاعدة جمهور واسع بحجم انتشار الفكر الجهادوي التكفيري.

ثورة الربيع العربي التي انـدلعت في سـوريا في عـام ٢٠١١م كانـت في بـدايتها سلمية منادية بشعارات الحرية والديمقراطية.

ولكن النظام الحاكم واجهها بـالقوة، مواجهـة تحولـت إلى حـرب أهليـة بـين مؤيدي النظـام ومعارضـيه. ونتيجـة للتكـوين السـكاني في سـوريا أيـدت أغلبيـة العلويين النظام، وأغلبية أهل السنة عارضته. قاد مقاومـة النظـام تكوينـات كثيـرة مثل الجيش الحر وجبهة النصرة. وهي فرع القاعدة في سوريا.

فرع القاعدة في العراق نشط في مقاومة الاحتلال الأمريكي، وبعد جلاء القوات الأمريكية واصلت القاعدة نشاطها تعبيراً عن رفض كثير من أهل السنة لسياسـات النظام العراقي الجديد ذات المحتوى الطائفي الشيعي.

القاعدة في العراق خالفت قيادة د. أيمـن الظـواهري، معطيـة أولويـة لمقاومـة الشـيعة، وخالفتهـا في الإسـراع بتكـوين «دولـة إسـلامية»: الدولـة الإسـلامية في العـراق. أغلبيـة جبهـة النصـرة في سـوريا أيـدت هـذه الدولـة، فتكونـت الدولـة الإسلامية في العراق والشام: داعش. وبعد ذلك انتمت لهذه الدولة إمـارات ذات أهداف مماثلة، فنادوا بالخلافة الإسـلامية، وطـالبوا كافـة الحركـات الجهادويـة مبايعة أبي بكر البغدادي أميـراً للمـؤمنين. قيـادة القاعـدة رفضـت ونشـأ خـلاف وتنافس بينهما سوف نبين معالمه فيما بعد.

«الخلافة» البغدادية تدولنت، وتمأسست، وطرحت نفسها بديلاً لنظام الدولـة الوطنية القطري، وبديلاً لنظام الأمم المتحدة.

انتمت «للخلافة» فروع كثيرة في آسيا، وأفريقيا، وأوربا، ورفعت درجة الترويع لدرجة قصوى، وخرجت برعبها من أرض الرافدين لا سيما إسقاط الطائرة الروسية في سيناء في ٣١/ ١٠/ ٢٠١٥م والمذبحة الباريسية في ١٧/ ١١/ ٢٠١٥م.

الخلافة فكرها يستلهم الماضي، وأسلوبها في التمكين عن طريق الرعب أسلوب طرقه في التاريخ الوسيط جنكيز خان، وتيمور لنك، وفي التاريخ الحديث اليعاقبة في الثورة الفرنسية، والخمير الحمر.

كما استخدمت أساليب عسكرية وإعلامية، واتصالية، في غاية الحداثة والإتقان.

عقيدة صماء، وأساليب عمل حديثة، مكنت «الخلافة» من الصمود عاماً ونصف العام في وجه تحالف دولي قوي بقيادة الولايات المتحدة.

ضربات «الخلافة» بإسقاط الطائرة الروسية، والمذبحة الباريسية، طفحت بالكيل؛ فأصدرت الأسرة الدولية قرار مجلس الأمن رقم (٢٢٤٩). التحالف الموسع المتجدد بعد هذا القرار يمكنه أن يدمر دفاعات الخلافة، ولكن تدمير دفاعات طالبان في أفغانستان، ثم البعث في العراق، لم يمكن المنتصرين عسكرياً من فرض البديل الذي يريدونه. ومهما كانت نتيجة الحملة العسكرية المتوقع أن تطيح بدفاعات دولة «الخلافة»، ولكن على الصعيد الثقافي والسياسي سوف تبقى العوامل التي أفرزت الخلافة في المقام الأول.

إن حالة الرفض للواقع السقيم والقابلية للتغيير هي التي في ظروف أخرى أدت لظاهرة «الربيع العربي».

«الربيع العربي» واجه الاستثناء العربي بثورات مندرجة في موجة التاريخ، أهدافها القفز من الواقع إلى الأمام التحاقاً بالقرن الواحد وعشرين.

ثورات «الربيع العربي» تقاصرت دون أهدافها لأسباب معلومة هي:

- نظم الحكم الاستبدادي طالت عهودها وقفلت باب الاجتهاد الفكري والسياسي، فقزمت الفكر والسياسة. وفي المقابل اهتمت بالأجهزة الشرطية، والأمنية، والعسكرية فصار لهذه الأجهزة كيانات ذاتية.

- الحركات الشبابية التي أطاحت بالطغاة كانت مفاجأة لنفسها ولمجتمعها بلا قيادة معتبرة، وبلا برامج بديلة. ولكنها على أية حال كسرت حاجز الخوف وفتحت أبواب الحرية.

- توافر الحريات كشف عن ضعف التنظيمات السياسية، وفتح المجال لجماعات دينية تخندقت أثناء عهد الطغيان في أنشطة دينية حول المساجد، وأنشطة اجتماعية خدمية، وتمددت في رحاب الحرية جماعات الولاء الطائفي والإثني والقبلي.

لذلك لم يكن التغيير بالمقاييس الموضوعية حميداً، اللهم إلا في الحالة التونسية، التي لم تخل من تشويهات، ولكنها حققت إيجابيات أسعفها لتحقيقها ثلاث عوامل هي: وجود مجتمع مدني قوي، ووجود قوات مسلحة ملتزمة بالمهنية خالية من طموح الخوض في السياسة، ووعي حزب المرجعية الإسلامية الذي لم يبهره الانتصار الانتخابي فعرف قدر نفسه.

ومهما كان حظ ثورات «الربيع العربي» فإن أهدافها باقية، وسوف تعود حتماً لأن استمرار الأوضاع الحالية، والبديل القاعدي أو الداعشي، بل حتى أية تدابير تفرضها الهيمنة الدولية احتمالات غير مجدية.

لا جدوى مستدامة في ظروفنا الحالية إلا لمستقبل سماته الأساسية هي السلسلة السبعية الآتية:

أولاً: تأصيل غير منكفئ، وتحديث غير مستلب.

ثانياً: تعامل اجتهادي مع التراث يدعم إيجابياته، ويميز قطعياته، ويتخلى عن سلبياته.

ثالثاً: نظم حكم تحقق المشاركة، والمساءلة، والشفافية، وسيادة حكم القانون، وكفالة حقوق الإنسان.

رابعاً: نظم اقتصاد تحقق التنمية والعدالة الاجتماعية.

خامساً: نظم تعليم تبث المعرفة وتحقق توطين التكنولوجيا الحديثة.

سادساً: تطوير الالتزام الوطني بصورة تستوعب التنوع في ظل الوحدة الوطنية، وتسمح بعلاقات بينية قومية، وإسلامية ودولية.

سابعاً: تأسيس علاقات دولية تقوم على الندية، والمصالح المشتركة والسلام العادل وتتجنب العداوات والتبعية.

هذا الكتاب يقدم تشخيصاً للحالة بكل أبعادها ويبين الخطى اللازمة لخلاص الأمة في إطار توفيق بين التأصيل والمعاصرة وبين حلقات الانتماء الضرورية الأربع: الوطنية، والقومية، والإسلامية، والعالمية.



الباب الأول

تحرير المصطلحات

إن التأزم الصارخ الذي تمر به منطقتنا منطقي مع مقدماته، وسوف أبين الربط السببي بين ما نعاني منه ومسبباته، وأبرهن أن الأعراض سوف تبقى ما بقيت أسبابها، وسوف تزول بزوالها. هكذا مرافعة على صحة مقولة ابن خلدون: كل ظاهرة في الوجود الطبيعي أو الاجتماعي خاضعة لقوانين، وفي هذه المقولة تفسير لقوله تعالى: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[1].

وأبدأ أطروحتي بتحرير المصطلحات:

التطرف معناه التعصب لرؤية قولاً أو عملاً، عندما يحرص صاحبها على فرضها على الآخرين. التطرف بهذا المعنى ظاهرة صحبت كل ثقافات البشر. والتطرف يظهر غالباً عندما تشعر جماعة بالاضطهاد فتتخندق في ولاء وراثي أو في ادعاء أيديولوجي. وقد يظهر التطرف لدى جماعة غرها الانتصار على غيرها فتصاب بالغطرسة:

لَنَا الدُّنْيَا وَمَنْ أَضْحَى عَلَيْهَا ... وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَا
إِذَا بَلَغَ الفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الجَبَابِرُ سَاجِدِيْنَا

والتطرف يصحبه دائماً العنف، إنه حينئذٍ إرعاب يستخدمه المضطهدون أي إرعاب أهلي. أو يستخدمه الطغاة لتطويع ضحاياهم. أي إرعاب رسمي.

العبارة المستخدمة في وصف هذا السلوك الآن هي عبارة إرهاب ما صنع خلطاً مع استخدام هذه العبارة في القرآن.

(١) سورة طه الآية (٥٠).

إرهاب كما في القرآن معناه القوة الرادعة للمعتدي الافتراضي.

ولكن المعنى المراد هنا هو الإرعاب، وهو العنف المباغت للمدنيين وحراسهم وأموالهم لتحقيق أهداف فاعله الخاصة والعامة، صاحبه يتحرك بلا عنوان وبصورة مباغتة لضحاياه.

والإرعاب الرسمي هو ما يمارسه حكام طغاة ضد ضحاياهم من بطش وتعذيب. ظاهرة الإرعاب التي استبدت بالساحة القطرية، والإقليمية، والدولية في العصر الحديث ظاهرة مرت بأربع مراحل:

- **المرحلة الأولى**: حركات الإرعاب النمطية وصفتها: عنف مباغت يستهدف المدنيين، وحراسهم من النظاميين، وممتلكاتهم، وهي حركات محصورة في مناطق جغرافية معينة، وذات أهداف قطرية مثلاً: الباسك في أسبانيا، والألوية الحمراء في اليابان، وحركة بادرمانهوف في ألمانيا، والفهود السود في أمريكا، والجماعة الإسلامية في مصر.. حركات تستخدم الإرعاب لتحقيق أهدافها السياسية القطرية.

- **المرحلة الثانية**: لدى احتلال الاتحاد السوفيتي لأفغانستان في ١٩٧٩م تحولت الجماعات الإسلامية في أفغانستان لجماعات جهادية، وانضم لهذا الجهاد مجاهدون من كل العالم الإسلامي، وأرسلت رابطة العالم الإسلامي السعودية د. عبد الله عزام إلى بيشاور في باكستان سنة ١٩٨٤م، وأقام عزام مكتب خدمات المجاهدين في بيشاور لترتب الدعم لمقاتلة السوفيت في أفغانستان. في هذه المرحلة كان التعاون العربي الأمريكي في قمته تسليحاً وتدريباً وتمويلاً. وأبلى المجاهدون بلاءاً حسناً حتى تحقق جلاء السوفيت من أفغانستان في فبراير ١٩٨٩م. وفي نفس العام في نوفمبر قتل عبد الله عزم وأبناؤه محمد وإبراهيم بوسطة سيارة مفخخة. وخلفه الشيخ أسامة بن لادن الذي سعى لتكوين خلافة إسلامية نواتها في أفغانستان بقيادته أميراً للمؤمنين.

وفكرته أنها ستكون نموذجاً للدولة الإسلامية يدفع الشعوب للثورة على حكامها لتحقيق الخلافة الإسلامية العالمية. ومعلوم أن هذه الأهداف تجد تأييداً واسعاً لدى كثير من الشعوب الإسلامية.

في ١٩٩٤م ظهرت حركة طالبان مكونة من خريجي المدرس الإسلامية في باكستان، وتغلبت على الحركات الجهادية الأخرى، وسيطرت على ٨٠٪ من أفغانستان، وأقامت ولاية إسلامية في أفغانستان.

لدى خلافة أسامة بن لادن لعزام أطلق على المركز عبارة قاعدة الجهاد. ولدى استيلاء طالبان على كابول قررت قيادة القاعدة التحالف مع طالبان، ومع الاختلاف المذهبي بينهما بايع بن لادن أمير طالبان أميراً للمؤمنين.

هذه الخطوات يمكن أن تجد تأييداً واسعاً بين كثير من المسلمين، وكانت طالبان تركز على أفغانستان دون غيرها.

ولكن العوامل الآتية حولت وسائل القاعدة إلى حركة جهادية تحظى بتأييد واسع هي:

أولاً: مقولة عزام: «إن العديد من المسلمين يعرفون الحديث الذي أمر فيه النبي صحابته ألا يقتلوا أي أمراة أو طفل أو شيخ. ولكن القليلين يعرفون أن هناك استثناءات في هذه الحالة. وخلاصة القول إن على المسلمين ألا يوقفوا هجوماً على المشركين لوجود نساء وأطفال غير مقاتلين».

ثانياً: فتوى أصدرتها القاعدة في عام ١٩٩٨م أن قتل الأمريكان جنوداً ومدنيين في كل أنحاء العالم فرض عين على المسلمين.

- **المرحلة الثالثة**: فتوى القاعدة بموجبها اتخذت صفة: قاعدة الجهاد لقتال الصهيونية والصليبية، وانطلقت إلى خارج أفغانستان بفروع للقاعدة في مناطق كثيرة: القاعدة في الجزيرة العربية، والقاعدة في المغرب العربي، والقاعدة في أرض الرافدين وهلم جراً.

درجت القاعدة على تفجير السفارات والمنشآت، خاصة ما حدث في نيويورك وواشنطن في سبتمبر ٢٠٠١م، هذه الأساليب أتاحت للولايات المتحدة فرصة اعتبار أعمال القاعدة أعمالاً ارهابية وعندما رفضت طالبان تسليم اسامة بن لادن لها شنت الحرب على أفغانستان وعلى القاعدة.

أساليب القاعدة إرعابية، وأتت بنتائج عكسية لها ولحلفائها في أفغانستان. ولكن هدفها هو إجلاء القوات الأجنبية من بلاد المسلمين، وفي إطار الجزيرة العربية: إخراج الكفار من شبه الجزيرة العربية، وجد تجاوباً شعبياً واسعاً. لهذه الأسباب لم تنجح حملة حلف ناتو العسكرية على طالبان وعلى القاعدة زهاء ١٤ عاماً في القضاء عليهما. لا يمكن أن نسمي حركة القاعدة مجرد إرهاب، لأن لأهدافها سنداً واسعاً وإن لم ينطبق على وسائلها. ولا يمكن أن نسميها جهاداً، لأنها تخالف أحكام الجهاد في الإسلام. ويمكن أن توصف بأنه إرهاب جهادوي.

- **المرحلة الرابعة**: في عام ٢٠٠٣م وقد كان مصعب الزرقاوي[1] أمير فرع القاعدة في العراق اتجه لإعطاء اولوية لمحاربة الشيعة بدلاً من العدو البعيد كما هو توجه أسامة بن لادن. الزرقاوي قتلته غارة أمريكية في عام ٢٠٠٦م فتولى بعده أبو عمر البغدادي[2] وسمي جماعته دولة العراق الإسلامية. دولة اندمج فيها جيش الفاتحين، وجند الصحابة، وكتائب أنصار التوحيد والسنة، وسرايا فرسان التوحيد، وسرايا ملة إبراهيم، وقبائل سنية، وجماعات بعثية.

دولة العراق الإسلامية أعلنت في أكتوبر ٢٠٠٦م واتخذت من الأنبار عاصمة لها. هذه الدولة أسقطتها صحوات الانبار وطردتها في عام ٢٠٠٧م من عاصمتها.

(١) أبـو مصـعب الزرقـاوي، أحمد فاضـل نـزال الخلايلـة (١٩٦٦ - ٢٠٠٦م): أردني قـام بأعمـال تفجيرات خلال حرب العراق، مؤسس وزعيم «تنظيم التوحيد والجهاد»، والذي عرف لاحقاً بـ «تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين» وظل زعيمه حتى وفاته.

(٢) أبو عمر البغدادي(١٩٥٩-٢٠١٠)، هو حامد داود محمد خليـل الـزاوي، خلـف أبـي مصـعب الزرقاوي في الإمارة على منظمة دولة العراق الإسلامية (٢٠٠٦ - ٢٠١٠م).

استهدف رئيس الوزراء العراقي السابق الصحوات وقضى عليها عام ٢٠٠٩م. هذا مع سياساته الطائفية أعطى عناصر القاعدة في بلاد الرافدين فرصة للعودة وإحياء دولتهم. قتل أبو عمر البغدادي في ٢٠١٠م وخلفه أبو بكر البغدادي[١]. استمال أبو بكر البغدادي جبهة النصرة وهي فرع القاعدة في سوريا فانضم إليه غالبية جنودها وأسسوا دولة الإسلام في العراق والشام واختصارها داعش.

من العوامل المساعدة لهذا الإجراء هو جلاء القوات الأمريكية عن العراق في ديسمبر ٢٠١١م. وقسوة المالكي في التعامل مع المعارضة السنية، وفض اعتصام الانبار بالقوة في يناير ٢٠١٣م. داعش قطعت علاقتها مع قيادة القاعدة. وانضمت لداعش إمارات من كثير من أنحاء العالم الإسلامي فسموا انفسهم الخلافة الإسلامية وبايعوا أبابكر البغدادي أميراً للمؤمنين، وبايعته قبائل سنية كثيرة ما مكنه من الاستيلاء على الموصل ثاني أكبر مدينة في العراق، وبقية مدن محافظة نينوي

وطالب أبو بكر البغدادي أيمن الظواهري[٢] بمبايعته أميراً للمؤمنين. الجديد في سلوك هذه الخلافة هو مسك أرض وحمايتها، وإحياء فكرة البيعة لخليفة ذات الصدى التاريخي والشعبي الواسع. وتنظيم عملها كدولة تطبق أحكام الشريعة الإسلامية، واستخدام أساليب عسكرية وإعلامية واتصالاتية حديثة، واتباع أعلى درجات الرعب لمحاصرة الدول الوطنية، وتحدي النظام الدولي الحديث.

طبيعة هذه الخلافة هجين بين أيدولوجية تاريخية منكفئة وأساليب عمل ثورية في حداثتها، وبث الرعب بصورة مبتكرة ما جذب إليهم شباباً متحمساً من

(١) أبو بكر البغدادي (ولد يونيو ١٩٧١م): عراقي، هو إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي البغدادي قائد تنظيم القاعدة في العراق خليفة الدولة الإسلامية والمُلقب بأمير دولة العراق الإسلامية.

(٢) أيمن الظواهري (ولد ١٩ يونيو ١٩٥١م): طبيب جراح مصري وزعيم تنظيم القاعدة خلفاً لاسامة بن لادن، وزعيم تنظيم الجهاد الإسلامي العسكري المحظور في مصر.

مائة دولة، وجذب لمبايعتهم إمارات من عشر دول.

أساليب هذه الخلافة يصنفها مارداً مارقاً عن التاريخ، ولكنه مروق مسبوق في التاريخ القديم – جنكيز خان – والحديث – الخمير الحمر – ومهما كانت أساليبهما وحشية فإن حواضنها الدينية، والثقافية، والسياسية، تزودها بجدوى جعلتها تستعصي على ٢٠ ألف غارة أمريكية وما زالت بعد عامين من انطلاقها تقوم بالمبادرات.

هذه الخلافة وحش نشأ من رحم واقع ديني وثقافي، وسياسي، واقتصادي في البلاد العربية الإسلامية وفي النظام الدولي المعاصر. هؤلاء جميعاً اشتركوا في تكوينه والقضاء عليه يستوجب صحوات عميقة. مجرد وضعه تحت عنوان الإرهاب وتوجيه النيران عليه يشبع غريزة الانتقام ولكنه وحده لا يجدي. الاطاحة بمواقعه عسكرياً ممكنة ولكن ما لم يصحب ذلك إجراءات أخرى فالمسببات سوف تواصل افراز النتائج مثلما حدث لطالبان وللقاعدة بعد ١٤ عاماً من الحملة العسكرية.

القاعدة ومنافستها «الدولة الإسلامية» تتنافسان على مستقبل العالم العربي الإسلامي، وتتبعان إيديولوجية مشتركة وإن اختلفت الوسائل. وهما تتبعان نهجاً راديكالياً يرفض الحداثة ويقدم بديلاً مارقاً عن التاريخ. هذا النهج المارق ليس جديداً فقد سبقهما إليه في غير الشرق الأوسط: الخمير الحمر، ونمور التاميل، والدرب المضيء. ولكن تلك الحركات وما أقامت من كيانات لم تشد إليها هذه الضجة العالمية ولا هذا التحالف الاستراتيجي الدولي لقمعها.





الباب الثاني

الحواضن الدينية والثقافية للتطرف

في هذا الباب نذكر بعض المجهودات البحثية التي اهتمت بتحليل ظاهرة التطرف والعنف في المنطقة العربية، ثم نتتبع تطور أيديولوجيا التطرف في النطاق السني، بالإضافة لأثر الصحوة الشيعية كحواضن دينية وثقافية أنتجت القاعدة ثم داعش والدولة الإسلامية.

تحليل أسباب التطرف في المنطقة

أ. في عام ٢٠٠٦م نظم نادي مدريد بعثات لست دول عربية، وبعد زيارتها عقد النادي مؤتمراً في منتجع بشاطئ البحر الميت في يناير ٢٠٠٨م شارك فيه مندوبون من ١٩ دولة عربية. مندوبون مثلوا أحزاباً حاكمة وأخرى معارضة. وبعد الاستماع لتقارير المبعوثين للدول الست وتداول الآراء أصدرنا (إعلان البحر الميت) وخلاصته: أن المنطقة تعاني من احتقان في العلاقة بين الحكام والمواطنين ما يستوجب إجراء حوار لتحقيق إصلاح سياسي تجنباً للانفجار. حوار لم يحدث.

وتناول البرنامج التنموي للأمم المتحدة (UNDP) مسألة التنمية البشرية في العالم العربي. وأصدر تقارير أهمها تقاريره للأعوام: ٢٠٠٢، ٢٠٠٣، ٢٠٠٤م.

- التقرير الأول أشار إلى أن ثلاثة عيوب تعيق التنمية البشرية في العالم العربي هي: نقص الحرية، والمعرفة، وتمكين المرأة.
- التقرير الثاني ركز على نقص المعرفة.
- التقرير الثالث ركز على قضايا الإصلاح السياسي وانتقد الواقع القائم

وحدد شروط الإصلاح السياسي المنشود.

تكرر السؤال في الغرب لا سيما بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م لماذا يكرهوننا؟ تناول كثيرون الرد على هذا السؤال باعتبار أن التطرف والعنف الموجه ضد الولايات المتحدة سببه تظلم المسلمين من السياسات الأمريكية التي تدعم الطغاة وهم يبطشون بالشعوب، وتدعم إسرائيل وهي تبطش بأهل فلسطين.

إنشاء دولة إسرائيل في المنطقة إجراء متطرف أفرز تطرفاً مضاداً. قال مايكل أورن في كتابه سياسة أمريكا في الشرق الأوسط منذ ١٧٧٦م حتى الحاضر: «لا يوجد في مجال الهندسة الاجتماعية فعل أكثر تطرفاً من تأييد أمريكا لقيام دولة يهودية وسط عالم عربي شديد العداء لذلك». وأضاف: «النقاد منذ الحرب العالمية الأولى أنذروا أن هذا الإجراء من شأنه أن يسبب حروباً بلا نهاية»(١).

ولكن تقرير البرنامج التنموي للأمم المتحدة ركز على أن أسباب التطرف والعنف المصاحب له يعودان لأسباب داخلية هي الافتقار للمشاركة والمساءلة والشفافية وسيادة حكم القانون في الحكم، وغياب العدالة الاجتماعية، وضيق آفاق الحياة أمام أجيال الشباب.

الحقيقة أن السببين يفسران حالة العنف والاحتجاج المنتشرة في شعوب المنطقة.

ينبغي أن يضاف لتفسير بروز دور هاتين الحركتين، أنهما تنهلان من أيديولوجية «إسلاموية» متعدية للحدود القطرية ومغروسة في عقائد تقليدية، وانطلاقاً من هذه الإيديولوجية فإن القاعدة تتصدى لرفض علاقة غير متكافئة بين الولايات المتحدة ودول عربية إسلامية. «والدولة الإسلامية» تتصدى لعلاقة طائفية غير متكافئة. الأولى تعبر عن رفض ذي سند شعبي للهيمنة الدولية. والثانية

(١) *Michael B. Oren* ,Power, Faith, and Fantasy: America in the Middle East: 1776 to the Present

تعبر عن رفض ذي سند سني للنهضة الشيعية.

الأيديولوجية المنكفئة

في عهد النبي ﷺ كان النبي وهو يوحى إليه يرحب بالشورى ويستجيب للرأي الآخر حتى إذا خالفه. حدث هذا في موضوع تأبير النخل، وفي الموقع المختار في بدر، وفي الخروج من المدينة أم اللقاء في جبل أحد، ونفذ رأياً لصحابي في أمر حفر الخندق هو رأي سلمان الفارسي(١)، وامتثل لرأي صحابية هي السيدة أم سلمة في محنة الحديبية(٢)، واستخدم نقوداً أجنبية، وأمر بتعليم لغات الآخرين وهلم جرا. وسار الخلفاء الراشدون على هذه السنة لا سيما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب(٣).

لذلك عندما اتصل المسلمون بثقافات الأمم الأخرى رحبوا بالعلوم العقلية، فالعقل ومشتقاته وارد في أكثر من خمسين موقع في القرآن، والركون للبرهان العقلي من أقوى شواهد القرآن: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾(٤).

روى حديث قدسي أن الله قال للعقل: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْت خَلْقًا أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْك: بِك آخُذُ وَبِك أُعْطِي وَبِك أُثِيبُ وَبِك أُعَاقِبُ»(٥).

وتفلسف ابن رشد(٦) مبيناً: فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من

(١) **سلمان الفارسي أو سلمان المحمدي** (568 ـ ٦٥٦م) صحابي جليل.

(٢) **صلح الحديبية**: هو صلح عقد في شهر شوال من العام السادس للهجرة (مارس ٦٢٨ م) بين المسلمين وبين قريش، بمقتضاه عقدت هدنة بين الطرفين مدتها عشر سنوات.

(٣) **عمر بن الخطاب** (٤٠ ق. هـ- ٢٣ هـ)، أمير المؤمنين، هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى القرشي، الخليفة الراشد الثاني.أول قاض وأول من أرخ بالهجرة وأول من دون الدواوين في الإسلام. اغتاله أبو لؤلؤة المجوسي.

(٤) سورة البقرة الآية (١١١).

(٥) سنن الترمذي.

(٦) **ابن رشد**(٥٢٠هـ/ ١١٢٦م- ٥٩٥ هـ/ ١١٩٨م)- الحفيد- هو محمد بن احمد بن محمد بن رشد الأندلسي، ألف في الفقه والأصول واللغة والطب والفلك والفلسفة.

الاتصال.

وقال الشاطبي[1]: أحكام الإسلام لا يجوز تطبيقها إلا على عاقل وما من شيء أوجبه الشرع إلا قبله العقل.

وقامت فرقة كاملة هم المعتزلة[2] على عقلانية الشريعة الإسلامية.

وامتدح العقل قال الحكيم:

إِذَا طَالَ عُمْرُ المَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ　　　أَفَادَتْ لَهُ الأَيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلاَ

ولكن لأسباب كثيرة حصلت ردة عن المنطق والفلسفة بصورة انتصر لها الإمام الغزالي[3] في «المنقذ من الضلال» ثم راجت مفاهيم شيطنت المنطق: من تمنطق تزندق. وطردت الفلسفة:

لا خير فيما كان أوله　　　فلٌ وآخره سفه!

وصار لدى كثيرين أن العلم نقلي فحسب.

العلمُ ما كانَ فيه قال حدثنا　　　وَمَا سِو ى ذَاكَ وَسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ

هذا النهج غلب منطقاً صورياً في الفقه، فما على المجتهد إلا القياس والإجماع. فالنص هو الحاكم في أمر الدين، ولا مشروعية إلا لما يقاس عليه. والنتيجة أن الأقدمين قد فهموا النصوص وأجروا عليها ما يلزم من قياس وإجماع فلم يبق

(١)الشاطبي (الإمام) (٥٣٨هـ/ ١١٤٣م- ٥٩٠هـ/ ١١٩٤م)هو أبو محمد القاسم بن فيرة بن أحمد الشاطبي الرعيني (نسبة إلى ذي رعين اليمنية) . ولد في مدينة شاطبة بالأندلس وإليها نسبته.

(٢)المعتزلة فرقة في علم الكلام (أي العقائد) ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري (٨٠هـ- ١٣١هـ) في البصرة في أواخر عهد بني أمية وازدهرت في العصر العباسي. اعتمدت على العقل في تأسيس العقائد مقدما على النقل. ركزوا على التوحيد وعلى العدل الاجتماعي.

(٣)أبو حامد الغزّالي، (٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م - ٥٠٥ هـ/ ١١١١م)، الإمام، هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري. أحد أهم أعلام عصره وأحد أشهر العلماء المسلمين.

للاحقين إلا التقليد وفقاً للمقولة في جوهرة التوحيد.

وَمَالِــكٌ وَسَــائِرُ الأَئِمَّــهْ وأَبُـو القَاسِـمْ هُـدَاةُ الأُمَّــهْ
فَوَاجِــبٌ تَقْلِيــدُ حَبــرٍ مِــنْهُمْ كَـذَا حكى القَـوْمُ بِلفْـظٍ يُفْهَـمُ

التعطيل للعقل البرهاني والحكم ببطلانه. وحصر الاجتهاد الفقهي فيما يسمح به المنطق الصوري صحبتهما نكسة كبرى عندما نصح المغيرة بن شعبة(١) معاوية بأخذ البيعة لابنه يزيد(٢). وفي مجلس البيعة ليزيد قال ابن المقفع(٣) أمير المؤمنين هذا. وأشار لمعاوية(٤). فإن هلك فهذا وأشار ليزيد. ومن أبا فهذا وأشار للسيف. قال له معاوية: اجلس فإنك سيد الخطباء(٥). ومنذئذ صارت الخلافة وراثية ووسيلتها التغلب هكذا انفصلت ولاية الأمر من الشورى وقفل باب الاجتهاد السياسي بحالة صورها دعبل الخزاعي(٦):

خليفـةٌ مـاتَ لم يَحْـزَنْ لـه أحـدٌ وآخـرُ قـامَ لم يَفْـرَحْ بـه أحـدُ
فمَـرَّ هــذا ومَـرَّ الشـؤمُ يتبعُـه وقـامَ هـذا فقـامَ الشـؤمُ والنَّكَـدُ

وصار من لا يمتثل لهذا الدستور باغياً وهرع جمهور الفقهاء يطبقون مقولة ابن

(١) المغيرة بن شعبة (ت ٥٠ هـ/ ٦٧٠م) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي. أبو عبد الله. من الصحابة أولي الشجاعة والمكيدة والدهاء.

(٢) يزيد بن معاوية (٢٥- ٦٤هـ/ ٦٤٦- ٦٨٤م)، بويع خلفا لوالده بحياته في سنة ٥٠هـ بيعة إكراه وتسلسل الحكم من بعده لبني أمية. حكم حوالي ثلاث سنوات.

(٣) أبو مُحمّد عبد الله بن المقفع (١٠٦ - ١٤٢ هـ): مفكّر فارسي اعتنق الإسلام من المجوسية، وعاصر كُلاً من الخلافة الأموية والعباسية.

(٤) معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق.هـ- رجب٦٠ هـ/ ٦٠٢- ٦٨٠م) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي. صحابي أسلم يوم فتح مكة وهو أول من حول الخلافة إلى ملك بني أمية العضود.

(٥) ابن الأثير الكامل في التاريخ، - ج٣ ص١٩٨.

(٦) دعبل الخزاعي (١٤٨-٢٢٠هـ): محمد بن علي بن رزين، من مشاهير شعراء العصر العباسي. اشتهر بتشيعه لآل البيت وهجائه اللاذع للخلفاء العباسيين.

حجر العسقلاني[1]: لقد اجمع الفقهاء على طاعة المتغلب والقتال معه. هذا ما كان من أمر الواقع.

ولكن تداول بعض العلماء أمر الخلافة فوضعوا مقاييس نظرية ظلت افتراضية ولم تمس حقيقة الواقع. نظرية كان أوضح معبر عنها الماوردي[2] في كتابه «الأحكام السلطانية». قال: خليفة المسلمين هو خليفة النبي ﷺ في حراسة الدين وسياسة الدنيا. ومؤهلاته أن يكون عالماً ومجتهداً وشجاعاً، وسليم البدن والحواس، وقرشي النسب، ويختاره للخلافة أهل الحل والعقد، وهم خيار الأمة بمقياس الشرع من الرجال العدول.

ولكن بعيداً من هذا التنظير صارت الخلافة وراثية. والواجب على الخليفة تطبيق الشريعة بمعنى الأحكام التي استنبطها الفقهاء. ويتطلب هذا النظام اعتقاداً في الولاء والبراء يحصر الولاء في أخوة الإيمان، والبراء من غيرهم. براء يعتبر ديار غير المسلمين ديار حرب، وهذا معناه أن علة القتال في الإسلام هي اختلاف الملة.

ويمتد البراء حتى للذين يعيشون مع المسلمين بمعاملة: «لَا تَبْدَءُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِالسَّلَامِ، وَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي الطَّرِيقِ، فَاضْطَرُّوهُمْ إِلَى أَضْيَقِهِ» هذا ما رواه الترمذي.

ومن نصوص هذا الفقه أن الكافر يسلم أو يدفع الجزية أو يقتل، وأن المرتد يستتاب أو يقتل.

هذه المفاهيم كما هي ما زالت معتمدة لدى كثيرين، ومعتبرة أحكام الدين.

(١) العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ): شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد بن حجر بن أحمد العسقلاني، المحدّث الملقب بأمير المؤمنين في الحديث، الكناني القبيلة، الشافعي المذهب، المصري المولد.

(٢) الماوردي (٣٦٤-٤٥٠هـ): هو علي بن محمد بن حبيب البصري، العالم، القاضي، كان معتزليا في الأصول وشافعياً في الفروع.

وكثير من العلماء يقولون بها وتدرس في معاهد. بل كثيرون حتى يومنا هذا يرفضون إلغاء الرق، بحجة أنه مشروع في القرآن، وكذلك ملك اليمين ويقولون إن الرق مشروع في الكتاب والسنة وفي ممارسة المسلمين. وعلى أساس هذه الأحكام اتخذ الخلفاء المماليك الذين قويت شوكتهم حتى حكموا مصر ما بين (١٢٥٠-١٥١٧م)، ونظام الرق هذا اعتمده العثمانيون وهو أساس الجندرمة، وهم رقيق أبيض من أطفال الشعوب السلافية.

وفي بلاد الشيعة سادت ولاية وراثية على قمتها الشاه[1]، وطبق فقهاً جعفرياً مشابهاً لفقه أهل السنة في كثير من أحواله، ومخالفاً في بعض أحكامه. وفي المجال الشيعي أيضاً استمر الواقع السلطاني مخالف للنظام الافتراضي الذي اعتمده فقهاء الشيعة، باعتبار أن هنالك ١٢ إمام تجب على المسلمين طاعتهم وإمامتهم بتعيين إلهي مثل النبوة. هؤلاء هم الأئمة: على، والحسن[2]، والحسين[3]، وعلى زين العابدين[4]، ومحمد الباقر[5].، وجعفر الصادق[6]، وموسى الكاظم[7]، وعلى

(١) الشاه: كلمة تلقب لملوك إيران، وآخرهم الشاه محمد رضا بهلوي.

(٢) الحسن بن علي (٣ ق.هـ-٥٠هـ): هو الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. أبو محمد. ثاني الأئمة الاثني عشر عند الشيعة الإمامية. أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه، مدة خلافته ستة أشهر.

(٣) الحسين بن علي (٤هـ -٦١هـ): الحسين بن علي بن ابي طالب، أبو عبد الله، السبط الشهيد، أمه فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ، نشأ في بيت النبوة، الإمام الثالث لدى الشيعة، بايعه أهل الكوفة للخلافة فبطش بهم يزيد وقتل على يد الأمويين في موقعة كربلاء.

(٤) علي بن الحسين بن علي ، السجاد (٣٨ هـ - ٩٥ هـ): اشتهر بزين العابدين وهو الإمام الرابع لدى الشيعة بكل طوائفهم.

(٥) محمد الباقر (٦٧٦م - ٧٣٢م): أبو جعفر، الإمام الخامس عند الشيعة الإمامية (الإثنا عشرية) و(الإسماعيليون)، ومن فحول علماء الإسلام، له عدة أحاديث في الصحيحين، ولقب بالباقر لبقره العلوم بقراً (اي أظهر العلم إظهاراً)..

(٦) جعفر الصادق (٨٠-١٤٨هـ)، الإمام، جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ. الإمام السادس لأئمة الشيعة، عالم جليل وعابد فاضل، لقب بالصادق.

(٧) موسى بن جعفر الكاظم (١٢٨-١٨٣هـ): الإمام السابع عند الشيعة الإثنا عشرية، عاصر فترة حساسة من تاريخ المسلمين. كنيته أبو إبراهيم وأبو الحسن.

الرضا[١]، ومحمد التقي[٢]، وعلى النقي[٣]، والحسن العسكري[٤]، والثاني عشر هو ابنه محمد الحسن العسكري[٥] الذي غاب ويعود عندما يحين وقت ظهوره، وهو الإمام المهدي.

هذا هو الاعتقاد المثالي لدى الشيعة، وفي غيبته تداول الحكم سلاطين بالوراثة، وتولى أمر التوجيه الديني مراجع التقليد، وهم فقهاء على الجمهور تقليدهم.

العالم الإسلامي السني، والشيعي، والصوفي، على اختلاف في الدرجة صار خاضعاً لنظم استبداد سلطاني يضع قيوداً على الاجتهاد الفكري والسياسي والفقهي، وإن كانت المرجعيات الشيعية تحظى بدرجة أعلى من الاجتهاد الفقهي في إطار المذهب الجعفري.

هذا الركود هو الذي عطل حيوية شعوب أمتنا، وجعلها عرضة لغزو أوروبا: أبرز قوتها تحرير الشعوب، ونظم حكم فيها المشاركة، والمساءلة، ومجتمعات فيها حرية البحث العلمي، ونظم عسكرية ذات تنظيم وتسليح لا يجارى مكنهم من احتلال بلاد المسلمين قطراً قطراً. واجهتهم مقاومة ولكنها كانت غير متكافئة. مثلاً: احتلال مصر، والجزائر، والسودان، وسائر البلدان كان فيها تفوق الغزاة ساحقاً.

عهد الاحتلال هذا طبق حداثة في نظام الحكم وفي القوانين لم تأبه بأية مواءمة

---

(١) أبو الحسن علي بن موسى الرضا (١٤٨ - ٢٠٣هـ): وُلد في المدينة ثامن الأئمة الاثنا عشر. لقب بغريب الغرباء كونه دفن في بلاد فارس بعيدًا عن أرض آبائه.

(٢) أبو الحسين الإمام أحمد المستور التقي بن الوافي أحمد (١٩٨ -٢٢٥هـ): الإمام التاسع للشيعة الإسماعيلية.

(٣) الإمام علي ابن محمد الهادي (النقي) (٨٦٨ – ٨٢٩هـ): هو الإمام العاشر لدى الشيعة الاثنى عشرية.

(٤) الحسن بن علي العسكري (٢٣٢ – ٢٦٠هـ): الإمام الحادي عشر للشيعة الاثني عشرية، ولُقِّب بالعسكري نسبة إلى مدينة العسكر بالقرب من بغداد.

(٥) محمد الحسن العسكري (ولد ١٥ شعبان ٢٥٥هـ): المتمم لسلسلة الأئمة عند الشيعة الاثنى عشرية، فهو لديهم الإمام المهدي الغائب والمنتظر.

بينها وبين قيم المجتمع. بل أغفل الإسلام تماماً في رسم السياسة العامة وحصر الدين في المجال الشخصي، وصارت مصادر التشريع للمجتمعات المسلمة في البلدان المختلفة هذه كلها وافدة من دول الاحتلال.

وحتى بعد الاستقلال فإن تلك النظم بقيت وتعاقب على حكم دول ما بعد الاحتلال نخب أبقت على النظم الموروثة من عهد الاحتلال، وحتى المؤسسات الدينية الرسمية تعايشت معه ولم تتحدى سلطانه. ولكن في المجال الأهلي تناول مفكرون الحديث عن شرعية اقتباس النظم والثقافات الوافدة.

يمثل د. طه حسين[1] في مصر لا سيما في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» قبولاً كاملاً للثقافة والنظم الأوربية باعتبارها تمثل مستقبل الإنسانية، وينبغي استصحابها بخيرها وشرها. هذا النهج وجد أقوى تطبيق له في تركيا بقيادة مصطفى كمال[2]، وفي إيران بقيادة محمد رضا بهلوي[3] وابنه.

ولكن انطلقت حركات أهلية في مجال البلاد السنية والبلاد الشيعية ترفض النظم الثقافية الوافدة وتنادي بالتأصيل.

من هذه المدارس التأصيلية مدارس تمثل حواضن ثقافية ودينية للقاعدة و«الدولة الإسلامية» المزعومة.

تطور الفكر الإسلامي حول قضية التأصيل:

أول صياغة لربط الدين بممارسة ماضوية جاءت على لسان سعيد بن جبير

(١) طه حسين (٢٨ أكتوبر ١٨٨٩ - أكتوبر ١٩٧٣م)، عميد الأدب العربي، ولد في محافظة المنيا في أعالي مصر، نصب وزيرا للتربية عام ١٩٥٠.

(٢) مصطفى كمال أتاتورك (١٨٨١-١٠ نوفمبر ١٩٣٨) قاد معارضة الخلافة العثمانية والتوجه الإسلامي، وإقامة الجمهورية التركية وعاصمتها أنقرة في ١٩٢٣ وانتخب رئيسا لها، ومثلت تعاليمه أصولية للدولة في تركيا حتى الآن.

(٣) محمد رضا بهلوي طهران (١٩١٩ - ١٩٨٠م): تولى عرش إيران ١٩٢٦م آخر شاه (ملك) يحكمها قبل قيام الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩م لقب بـ (شاهنشاه) أي ملك الملوك.

(ت٩٤هـ)[١] قال: ما لم يعرفه البدريون فليس بـدين. أي أن الـدين هـو الاقتـداء بالصحابة وما عدا ذلك بدعة.

وأهم من ربطوا الدين بظاهر النصوص هم الظاهريون. قال عميدهم وهو ابـن حزم الأندلسي[٢]: الدين هو ما يدل عليه ظاهر النص بلا حاجة لتأويل.

ابن تيمية[٣] (ت 728 هـ) أفزعه عدوان الصليبين والتتار على بلاد المسـلمين وروعه تمدد الفكر الفلسفي، والصوفي، والشيعي، فقرر أن مذهب أهل السنة هـو الالتزام بنصوص القرآن والسـنة كأصـل للـدين دون تأويـل. هـذا الفهـم للـدين عارضته مدارس أخرى، ولكنه وجد لاحقاً دعماً قوياً من الشيخ محمـد بـن عبـد الوهاب[٤] الحليف لرجل الدولة القوي الملك عبد العزيز آل سعود[٥].

الشيخان جمال الدين الأفغاني[٦] ومحمد عبده[٧] كانا يريـان أن الإسـلام يقبـل

---

(١) سعيد بن جبير الأسدي (٤٦- ٩٥ هـ): تابعي حبشي الأصل، كان إماماً للكوفة ومعلماً لأهلهـا، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب مشاركته في الثورة على بني أمية.

(٢) ابن حزم الظاهري الأندلسي (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م): هو علي بن أحمد بن سعيد بـن حـزم فارسـي الأصل، ولد في قرطبة، كان ظاهري المذهب.

(٣) ابن تيمية (شيخ الإسلام) (٦٦١هـ/ ١٢٦٣م- ٧٢٨هـ/ ١٣٢٨م): أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام، وتيمية هي والدة جده الأعلى محمد. من أبرز رموز الإحياء الديني في القرن الثامن الهجري ومن أهم علماء المسلمين الذين امتد تأثيرهم حتى الآن.

(٤) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان آل مشرف التميمي (١٧٠٣م - ١٧٩١م) صاحب الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية، عقد تحالفا دينياً سياسياً مـع الأميـر محمـد بـن سـعود، هـو أسـاس الملـك السعودي الذي استلم الرياض عام ١٩٠١م وحتى الآن.

(٥) الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود (١٨٧٣ - ٩ نوفمبر ١٩٥٣)، ينحدر إلى أسرة آل سعود الحاكمة في نجد، ومؤسس المملكة العربية السعودية الحديثة عام ١٩٠١م.

(٦) محمد جمال الدين الحسيني، السيد، (الأفغاني) (١٨٣٨ – ١٨٩٧): ولد بأسد أباد بإيران، شـاع أنـه أفغاني وقد كانت له تجارب سياسية في الهند وفي أفغانستان ثم في مصر ضد الاسـتعمار البريطـاني وهو من أهم رموز اليقظة الإسلامية الحديثة.

(٧) محمد عبده، الشيخ (١٨٤٩ -١١ يوليو عام ١٩٠٥ م) العالم المصري الأزهري المجـدد، وزميـل الأفغاني في الدعوة للنهضة.

الانفتاح على العصر. وأن التحديث مطلوب ولكن بصورة تنطلق مـن التأصـيل لا تتم على حسابه. قال الشيخ الأفغاني: «يا معشـر المسـلمين إذا لم نؤسـس نهوضـنا وتقدمنا على قواعد ديننا وقرآننا فلا خير لنا فيه».

سجل الشيخان آراءهما في مجلة أصدراها في باريس بعنوان: «العروة الـوثقى». وفصل تلميذهما الشيخ محمد رشيد رضا[1] تلك الآراء في تفسيرهما للقرآن بعنوان «تفسير المنار». هذه المدرسة وقف إلى جانبها كثيرون يـرون أن الإسـلام يرحـب بكل ما ينفع الناس.

قال الشيخ المراغي[2] أحد أقطـاب هـذه المدرسـة: قـدموا لي أي شـيء ينفـع الناس وأنا أنبئكم بسنده من الشريعة الإسلامية.

الفقه التقليدي ثروة تشريعية، ولكنه مقيد بالمنطق الصوري من قياس وإجمـاع. ولكن شريعة الإسلام توجه أحكامها مقاصد أهمها:

- إذا المنقول واجه المعقول يسقط المنقول، مثلاً مقولة الرازي[3] عن قوله تعـالى: (﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾[4] قـال أي بـرأي العين.

- و«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»[5]، والمشقة توجـب التيسـير، والتكليـف بحسـب

(١) محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ/ - ١٩٣٥م١٨٦٦)، صاحب المنـار، مفكـر وكاتـب وعـالم وناشط سوري إسلامي اشتهر بإصداره لمجلة المنار الشهيرة في الثقافة الإسلامية.

(٢) محمد مصطفى المراغي (١٨٨١ - ١٩٤٥)، الشيخ، عالم أزهري وقـاض شـرعي مصـري، شـغل منصب شيخ الأزهر في الفترة من ١٩٢٨ حتى استقالته في ١٩٣٠ ثم تولى المشيخة مرة أخرى عام ١٩٣٥م حتى وفاته.

(٣) فخر الدين الرازي (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م - ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م)، إمام مفسر، عالم موسوعي في العلوم الإنسانية اللغوية والعقلية والبحتة. ولد في مدينة الري بإيران الحاليـة، قرشـي تيمـي النسـب. لـه تصانيف كثيرة أهمها: التفسير الكبير الذي سماه "مفاتيح الغيب".

(٤) سورة الكهف الآية (٨٦).

(٥) رواه ابن ماجة.

الوسع، والضرورات تبيح المحظورات.

الاجتهاد الصحيح هو الذي يحيط بالواجب اجتهاداً، وبالواقع، ثم يزاوج بينهما.

هذه المدرسة المذكورة، لها شيوخها كذلك المجتهدون في المغرب العربي كابن عاشور[1]، وابن باديس[2]، وفي تركيا كبديع الزمان النورسي[3]. وآخرون.

الشيخ محمد رشيد رضا صدمه احتلال الفرنسيين لسوريا فانتقل فكره من هذه المدرسة الإصلاحية للمدرسة «السلفية». في هذه المرحلة تأثر كثيرون بفكر الشيخ محمد رشيد رضا منهم الشيخ محب الدين الخطيب[4] الذي قال بالسلفية كذلك بمعنى أن اتباع السلف الصالح هو أساس الدين.

ومن تلاميذ الشيخ محمد رشيد رضا الشيخ حسن البنا[5] الذي قال بالأصولية أي أن اتباع الكتاب والسنة هو أصل الدين. وعلى أساس هذه الأصولية كون حركة الأخوان المسلمين. الحركة الأخوانية أعطت العمل الإسلامي قيمة مضافة أهمها:

- التصدي للفكر العلماني بألا دور للدين في الحياة العامة.
- تكوين تنظيم شعبي متشابك وتراتبي لبث الدعوة.

(١) **محمد الطاهر بن عاشور** (١٢٩٦ هـ/ ١٨٧٩م-١٣٩٣ هـ/ ١٩٧٢م) عالم وفقيه تونسي، أسرته منحدرة من الأندلس ترجع أصولها إلى أشراف المغرب الأدارسة تعلم بجامع الزيتونة ثم أصبح من كبار أساتذته. يعد تفسيره للقرآن (التحرير والتنوير) من أقيم كتب التفاسير.

(٢) **عبد الحميد بن باديس** (١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م-١٣٥٨هـ/ ١٩٤٠م) من رجالات الإصلاح في الوطن العربي ورائد النهضة الإسلامية في الجزائر، ومؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(٣) **بديع الزمان نور الدين النورسي**، (١٨٧٧م - ٢٣ مارس ١٩٦٠م) أحد أبرز علماء الإصلاح الديني والاجتماعي في العصر الراهن. من أصل تركي كردي ونورس قرية في شرقي الأناضول.

(٤) **محب الدين الخطيب** (١٣٠٣ هـ- ١٨٨٦م ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م)، **الشيخ**، سوري، من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلاني، من أعلام الفكر السلفي..

(٥) **حسن البنا** (شعبان ١٣٢٤ -ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ/ أكتوبر ١٩٠٦ - ١٢ فبراير ١٩٤٩م) مؤسس جماعة الأخوان المسلمون بمصر.

- خوض العمل السياسي باسم دعوة إسلامية.
- تنظيم أنشطة اجتماعية واسعة النطاق كجزء من الدعوة.
- بسط التنظيم بصورة تتجاوز الحدود لتعم أقطار العالم الإسلامي.

في فكر الشيخ حسن البنا بذور لاتجاه معتدل وآخر متطرف. وبعد اغتياله في عام ١٩٤٩م اختلف قادة الحركة ثم اتفقوا على اختيار المستشار (القاضي) حسن الهضيبي الذي كان قد بايع البنا سراً مرشداً للأخوان المسلمين.

مرت الحركة الاخوانية في عهد الشيخ حسن الهضيبي بعدة محن أولها في عام ١٩٥٢م لدى قيام الثورة المصرية وما شاب العلاقة بين الضباط الأحرار والأخوان. ثم محنة ١٩٥٤م لدى محاولة اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر[1] وما تبع ذلك من محاكمات وسجون. من أهم سجناء الحركة الأستاذ سيد قطب الذي حوكم ١٥ سنة سجناً قضى منها ٩ سنوات وأفرج عنه في عام ١٩٦٤م لأسباب صحية. التجربة المرة التي مر بها دفعته إلى فكر راديكالي كفر بموجبه المجتمع ودعا للحاكمية التي قال بها قبل ذلك الشيخ أبو الأعلى المودودي الهندي[2] وفحواها: أن الدين هو نظام للحكم هذا الحكم تطبقه طليعة مسلمة. لذلك كتب كتاب «معالم في الطريق» لتسترشد بها هذه الطليعة الحاكمة.

كان مرشد الأخوان الشيخ حسن الهضيبي في السجن فنشر كتاباً معارضاً للمعالم بعنوان: «دعاة لا قضاة».

مرت حركة الأخوان بمحنة أخرى عام ١٩٦٥م حيث اتهم الأستاذ سيد قطب بتدبير اغتيالات، وحوكم بالإعدام، وأعدم عام ١٩٦٦م. منذئذٍ صارت تتجاذب

(١) جمال عبد الناصر حسين سلطان على عبد النبي (١٥ يناير ١٩١٨ – ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠). أحد قادة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، تولى الرئاسة بعد الرئيس محمد نجيب عام ١٩٥٤م وحتى وفاته وصار أحد رموز القومية العربية.

(٢) أبو الأعلى المودودي (١٩٣٠- ١٩٧٩م): مؤسس الجماعة الإسلامية في الهند عام ١٩٤١م ويعد من أكبر منظري الحركة الإسلامية الحديثة.

حركة الأخوان مدرستان: الهضيبية، والقطبية.

الفكرة السلفية تفرعت كذلك لعدة مدارس أهمها:

- المدرسة الألبانية المنسوبة للشيخ ناصر الدين الألباني[1] القائل: إن السنة وأقوال الصحابة هم الذين يفسرون القرآن. وأضاف: طاعة ولي الأمر ملزمة تجنباً للفتنة. بل قال: من السياسة تجنب السياسة.

- مدرسة الشيخ محمد سرور زين العابدين[2] الذي خلط بين الفكرة السلفية وآراء الأستاذ سيد قطب. هذا المزج بين فكر سلفي وفكر قطبي يعلي شأن الحاكمية قال به كذلك الأستاذ عبد الله عزام[3].

- تتلمذ على الأستاذ عبد الله عزام أسامة بن لادن في جامعة سعودية. وبعد الغزو السوفيتي لأفغانستان هرع الأستاذ عبد الله عزام وتلميذه إلى باكستان للمساهمة في تنظيم الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان. انضم للشيخ أسامة بن لادن د. أيمن الظواهري[4] قائد الجماعة الإسلامية المصرية، وبعد جلاء السوفيت من أفغانستان كون هذا التحالف الجهادي قاعدة الجهاد لقتال الصهيونية والصليبية في عام ١٩٩٨م. هذه القاعدة تقول بالحاكمية التي ركز عليها الشيخ أبو الأعلى المودودي والأستاذ سيد قطب.

- قال الشيخ المودودي: الألوهية والسلطة تستلزمان بعضهما بعضاً. وكلمة

(١) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (١٩١٤ – ١٩٩٩م)، من أهم الفقهاء المسلمين المعاصرين.

(٢) محمد سرور بن نايف زين العابدين (١٩٣٨م): رجل دين سوري ومعلم مؤسس مركز دراسات السنة النبوية في بريطانيا ومنه أطلق مجلة السنة التي كانت ممنوعة في معظم الدول العربية.

(٣) عبد الله يوسف عزام (١٣٦٠ – ١٤١٠هـ)، فلسطيني، سلفي إخواني من قادة المقاتلين في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي يوصف بأنه رائد الجهاد الأفغاني ومن أعلام جماعة الإخوان المسلمين.

(٤) أيمن الظواهري (ولد ١٩ يونيو ١٩٥١م): طبيب جراح مصري وزعيم تنظيم القاعدة خلفاً لأسامة بن لادن، وزعيم تنظيم الجهاد الإسلامي العسكري المحظور في مصر.

الدين في القرآن مكونة من أربعة معان:

- الحاكمية والسلطة العليا لله.
- النظام الفكري المكون تحت تلك الحاكمية.
- المكافأة التي تنالها تلك السلطة على إتباع ذلك النظام.
- الطاعة لتلك الحاكمية.

إن الربط بين الالتزام الديني وولاية الأمر نشأ في أول نشأته لدى الخوارج الذين قالوا: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ﴾[1] ومن عارض ذلك كفروه. قال الإمام علي[2] رداً على ذلك: هذه كلمة حق أريد بها باطل نعم إن الحكم إلا لله ولكن هؤلاء يقولون الإمرة لله.

عاش الشيخ أبو الأعلى المودودي في الهند حيث التعصب الهندوسي الذي يجمع بين الدين والإثنية بصورة فريدة وطاردة للآخرين لدرجة أن المتعصبين الهندوس اغتالوا زعيم بلادهم (المهاتما غاندي) لتسامحه مع الآخرين لا سيما مع المسلمين. هذا المناخ المأزوم بهجمات التعصب الهندوسي هو الذي أعطى ولاية الحكم باسم الحاكمية موقعها في فكر المودودي، وفي سيرة الأستاذ سيد قطب ظروف تأزم مماثلة.

لم يكن الأستاذ قطب عريقاً في الانتماء لحركة الأخوان المسلمين. ولكنه انضم إليها لاحقا. وفي عام ١٩٥٤م عارض الأخوان المسلمون اتفاقية الجلاء التي أبرمها الرئيس جمال عبد الناصر مع بريطانيا. وأصدروا بياناً رمى عبد الناصر بالخيانة ولمح لإبرام اتفاق سري مع إسرائيل، ونال سيد قطب عقاباً صارماً لأنه كان كاتب ذلك البيان باعتراف زملائه. حكم عليه بالسجن ١٥ عاماً وأفرج عنه

---

(١) سورة البقرة الآية (٥٧).

(٢) على بن أبي طالب (ت٤٠ هـ/ ٦٦٠م): هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي، رابع الخلفاء الراشدين.

لأسباب صحية بعد ٩ سنوات.

بعد الإفراج عنه اتصل به بعض الشباب من الأخوان وقالوا لـه إنهـم معجبـون بآرائه كما في كتاب «المعالم» وأنهم كونوا تنظيماً حركياً عرضـوا عـلى بعـض قـادة الأخوان أن يتزعموه ولكنهم رفضوا فهم يعرضون عليه تزعمه. وافـق عـلى ذلـك وصار يقود تنظيماً خاصاً داخل تنظيم الأخوان العـام. كـان لهـذا التنظـيم أجنـدة خاصة كشفتها السلطات وحوكم سيد قطب بالإعدام واعدم في ١٢/ ٨/ ١٩٦٦م.

جاء في كتاب «معالم في الطريق»: الـدين في المفهـوم الإسـلامي هـو المـرادف لكلمة النظام في الاصطلاحات الحديثة. المطلوب هو «أن يـذعن أصـحاب هـذا النظام (الإسـلامي) لإلوهيـة الله وربوبيتـه. فـلا يـدعون لأنفسـهم حـق التشـريع والأنظمة لأن هذا الحق هو لله وحده في الإسلام وهنا يفترق النظام الإسلامي عن كل الأنظمة البشرية، الافتراق الأساسي».

قال: «لا يمكن أن يقوم البشر بوضع أنظمة الحكم وشرائعه وقوانينه مـن عنـد أنفسهم لأن هذا معناه رفض ألوهية الله. ادعاء الإلوهية في الوقت ذاته هـو الكفـر الصريح».

وكان يرى أن المجتمع الذي نعيش فيه حالياً مجتمع جاهلي، قـال: «الجاهليـة ليست فترة من الزمان إنما هي حالة من الحالات تتكرر كلمـا انحـرف المجتمـع عن منهج الإسلام. في الماضي والحاضر والمستقبل على السواء».

هذه الآراء التي تجاوب معها بعض الشباب المتحمسين لم تكـن غالبـة عـلى تنظيم الأخوان في ذلك الوقت.

وفي التحقيقات التي أجرتها السـلطات المصـرية مـع قيـادات أخوانيـة في عـام ١٩٦٥م وصف التلمساني[1] المرشد الأخواني في ذلـك الوقـت سـيد قطـب بأنـه

(١) عمر عبد الفتاح عبد القـادر مصـطفى التلمسـاني (١٩٠٤ – ١٩٨٦م) المرشـد الثالـث لجماعـة الإخوان المسلمين في مصر.

«دخيل على الجماعة»، وكان سيد قطب نفسه قبل التحقيقات والاتهامات يرى عمله مستقلاً من القيادات الاخوانية الأخرى قائلا: إن الجماعة البناوية (نسبة لحسن البنا) له بالمرصاد.

الأسباب التي ساهمت في نشر آراء سيد قطب:

عاملان ساهما بصورة كبيرة في ذلك:

العامل الأول: هو في التاريخ كله فإن دماء الشهيد أبلغ تعبيراً عن موقفه وهو حي:

أَتعْلَمُ أمْ أنتَ لا تَعْلَمُ ... بأنَّ جِراحَ الضحايا فَمُ

فإن آراء سيد قطب الذي لم يكن قائداً للجماعة صارت قوية الصدى في جسم الإسلاميين، وكل التنظيمات المتطرفة بعد ذلك نهلت منها، مثل: تنظيم صالح سرية[(١)]، وجماعة شكري مصطفى[(٢)]، فضلاً عن تنظيمات قطبية مختلفة، كذلك الجماعات التي تدخل تحت مسمى السلفية الجهادية كلها لا يوجد أساس فكري أو فقهي لها إلا أفكار سيد قطب كما في «معالم في الطريق». لقد صار الشهيد رمزاً لمعاناة الإسلاميين على يد السلطات المصرية. المعاناة التي وثقت لها د. بنت الشاطئ[(٣)]، ود. أحمد شلبي[(٤)] في موسوعة التاريخ الإسلامي.

العامل الثاني: لا يكفي أن يوجد مثل هذا الرمز الذي صنعته سيرة مأزومة وإعدام ما لم تتهيأ ظروف أزمة تتقبل الفكر المتطرف.

(١) صالح عبد الله سرية -(ولد ١٩٣٧م)، فلسطيني، أسس تنظيم واسع ومتنوع جغرافياً..

(٢) **تنظيم جماعة المسلمين أو التكفير والهجرة (١٩٦٧م):** أسسه شكري مصطفى إخواني منشق، ينادي بتكفير المجتمع واعتزاله عزلة مكانية وعزلة شعورية.

(٣) **عائشة محمد علي عبد الرحمن، بنت الشاطئ (١٩١٣ - ١٩٩٨م):** مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة.

(٤) **أحمد شلبي (١٩١٥ - ٢٠٠٠م)،** دكتور، مؤرخ مصري معروف صاحب موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية.

كان الفكر القومي العربي على يد الناصرية والبعثية هو الفكر المعبر عن نهضة الأمة لدرجة جعلت كثيرين يحلمون بفجر جديد آتٍ على نحو ما عبر توفيق الحكيم[١] في كتابه«عودة الوعي» (في عودة الوعي ذكر توفيق الحكيم كيف أنه خدع بدعاية الإنجازات الزائفة، ولكن حدث الهزيمة المنكرة أعاد له وعيه).

ولكن كارثة ١٩٦٧م التي حاول إعلام مضلل أن يصفها بالنكسة أطاحت بالأجندات الوضعية القومية، الأجندات القومية الاشتراكية وغيرها من الأجندات الوضعية كالتجربة الشيوعية في اليمن الجنوبي، والتجربة الاشتراكية في النصف الأول من نظام نميري[٢] في السودان هذه جميعها منيت بهزائم فكرية وسياسية ما خلق أزمة فكرية وحضارية فتحت الأبواب واسعة للدعوات الإسلامية. أكثرها تشدداً أكثرها قبولاً. هكذا صار للآراء الراديكالية التفكيرية حضور كبير. هذا دون تطور مناسب في معنى النظام الإسلامي الساكن في مفاهيم نظام الخلافة، وتطبيق الشريعة دون استحقاقات الاجتهاد المطلوبة ما أتاح حاضناً لدعوات تلبي تلك الأشواق.

الصحوة الشيعية وآثارها:

سوف نشخص فيما بعد الصحوة الإسلامية في تركيا، ولكننا هنا نشخص الصحوة الشيعية.

لا يشك مسلم عاقل في فضل الإمام على. وكتب السيرة النبوية والسنن المعتمدة لدى أهل السنة تذكر من فضائله ما لا ينكر. قال النبي ﷺ للإمام على: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي»[٣]. وقال في غدير خم

(١) **توفيق الحكيم** (١٨٩٨م – ١٩٨٧م): كاتب وأديب مصري، من رواد الرواية والكتابة المسرحية العربية.

(٢) جعفر محمد نميري (١٩٣٠-٢٠٠٩) قاد الانقلاب المايوي الذي أطاح بالحكم الديمقراطي الثاني في السودان وأسس حكما شموليا في الفترة (١٩٦٩-أبريل ١٩٨٥م) أطاحت به انتفاضة رجب/ أبريل الشعبية المباركة.

(٣) صحيح مسلم.

بعد عودته من حجة الوداع قَال: «اللَّهُمَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[1].

هذا الإمام الفاضل نال على يد بني أمية ظلماً انتقامياً:

عبد شمس قد أشعلت لبني هاشم ... ناراً يشيب منها رأس الوليد
فابن حرب للمصطفى وابن هند ... لعلي وللحسين يزيد

واغتاله احد الخوارج غيلة منكرة أشاد شعراؤهم بها قال عمران بن حطان السدوسي يمدح ابن ملجم[2] – قبحه الله- في قتله أمير المؤمنين:

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَا ... إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانًا
إِنِّي لَأَذْكُرُهُ حِينًا فَأَحْسَبُهُ ... أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانًا
أَكْرِمْ بِقَوْمٍ بُطُونُ الطَّيْرِ قَبْرُهُمْ ... لَمْ يَخْلِطُوا دِينَهُمْ بَغْيًا وَعُدْوَانًا

وواصل بنو العباس اضطهادهم للفاطميين من ذرية الإمام علي.

إن ما تخندق فيه فكر الشيعة من ترقية للإمامة والعصمة والتقية نتيجة مباشرة لبطش واضطهاد بلغ بعد قتل الإمام الحسين والتمثيل بجسده ورأسه ما يضارع ما لقيه جده حمزة بن عبد المطلب على يد آكلة الأكباد. كما قال دعبل:

أَسِفُوا على أَنْ لا يكونوا شَارَكوا ... في قَتْلِهِ فَتَتَبَّعُوه رَمِيما

ولا اختلاف بين إئمة أهل السنة على فضل آل البيت على نحو ما عبر عنه أعلم أئمة أهل السنة الإمام الشافعي بقوله:

يا آلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبكمُ ... فَرْضٌ مِنَ اللَّهِ في القُرآنِ أَنْزَلَهُ
كفاكم مِنْ عظيمِ الفخرِ أَنَّكمُ ... مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لا صَلاةَ لَهُ

---

(١) مسند بن حنبل.

(٢) عبد الرحمن بن عمرو بن ملجم المرادي، من خوارج النهروان وقاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وقوله:

انْ كـانَ حُـبُ آلِ محمَّـدٍ رفْضَـاً فَلْيَشـهَد الـثَّقَلان بـأنّي رافِضِـي

لذلك ليس مستغرباً أن يتطلع الشيعة إلى يوم عدل وإنصاف منتظر.

في الصراع بين السلطة العثمانية السنية والسلطة الصفوية الشيعية تكونت في العراق وفي إيران مؤسسة دينية يقودها مراجع التقليد.

المدهش أنه في كلا البلدين أقدمت القيادة السياسية على نهج تغريبي مارسه مصطفى كمال في تركيا، ومارسه آل بهلوي في إيران.

ناوش القادة الشيعة النظام الشاهنشاهي وساعدهم على ذلك ولاء تراتبي ومصادر تمويل مستقلة عن الحكومة.

شاه إيران كان قوياً بالمقاييس الظاهرة حتى أن الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر وصف بلاده في عام ١٩٧٩م قبيل اندلاع الثورة بأنها واحة استقرار في منطقة مضطربة. ولكن مع هذا الاستقرار الظاهري كان نظام الشاه يعاني من أزمة شرعية لأنه عاد للعرش عن طريق انقلاب دبرته وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ضد حكومة ذات شعبية وطنية عالية بسبب إقدامها على تأميم شركات البترول الأجنبية.

قال مارك كيرتس[١] في كتابه: «مفارقات القوة»: «يجهل كثير من الأمريكيين حجم الغضب الإيراني من بريطانيا وأمريكا لما دبروه ضد بلادهم. فكان لهذا الغضب الإيراني دور في إشعال الثورة الإسلامية».

كنت وصديقي أحمد مختار أمبو[٢] مدير اليونسكو قد قمنا بالوساطة بين أمريكا

(1) Mark Curtis, The Ambiguities of Power: British Foreign Policy Since 1945, **Zed Press, 1995.**

(٢) أحمد مختار أمبو (ولد ١٩٢١): سنغالي، وأمين عام اليونسكو من (١٩٧٤ – ١٩٨٧م) شغل عدة مناصب وزارية في بلاده.

وإيران أثناء أزمة الرهائن وكان واضحا لنا أن وزير الخارجية الأمريكـي معتـرف بما يستحق الاعتذار.

الثورة الإسلامية في إيران شاركت فيها قوى شعبية واسعة ولكـن قيادتهـا آلـت لقائد ديني من المؤسسة الشيعية.

أفكار آية الله الخميني[1] عن الحكم سجلها في محاضرات وألقاهـا في النجـف في عام ١٩٧٠م ونشرت في كتاب بعنوان الحكومـة الإسـلامية ومضـمونها ولايـة الفقيه. إنها من نفس مدرسة المودودي وقطب في أمر الحاكمية.

كان على شريعتي[2] وهو أحـد المفكـرين الشيعة يقـول: إن مهمتـي أن أثبـت للمتدينين التقليدين أن الإسـلام ثـوري، وأن اقنـع الثـوريين مـن غيـر المتـدينين بضرورة العودة للإسلام.

الثورة الإسلامية في إيران أحـدثت دويـاً هـائلاً وألهبـت حماسـة في الحركـات الإسلامية في كل مكـان حتـى في عـالم السـنة، ولأن الثـورة صـادفت بدايـة العـام الهجري الجديد أدت الحماسة الإسلامية المتجددة لحركة جهيمـان بـن يوسـف العتيبي[3] الذي قام ومن معه باحتلال الحرم المكي وأعلـن عـن ظهـور المهـدي واسمه محمد بن عبد الله القحطاني[4].

---

(١) روح الله بن مصطفى بن أحمد الموسوي الخميني (١٩٠٢-١٩٨٩م): رجل ديـن سياسـي إيـراني ومفجر الثورة الإسلامية، حكم إيران من (١٩٧٩-١٩٨٩) وكان فيلسـوفاً ومرجعـاً دينيـاً شـيعياً صاحب نظرية ولاية الفقيه.

(٢) علي شريعتي (توفي سنة ١٩٧٨م): مفكر إسلامي إيراني وعالم اجتماع.

(٣) جهيمان بن محمد بن سيف الضان الحافي الروقي العتيبي (١٩٣٦ – ١٩٨٠م): موظف في الحـرس الوطني السعودي، ومنفذ حادثة الحرم المكي الشهيرة التي هزت العالم الإسلامي حيـث اسـتولى أكثر من ٢٠٠ مسلح عـلى الحـرم المكـي مـدعين ظهـور المهـدي المنتظـر في (١٤٠٠ الموافـق ١٩٧٩م).

(٤) محمد بن عبد الله القحطاني (٢٨ سبتمبر ١٩٣٥ – ٩ يناير ١٩٨٠): سعودي وأحد تلامـذة الشـيخ عبد العزيز بن باز، أقنعه جهيمان العتيبي بأنه المهدي المنتظر أثناء حادثة الحرم المكي.

كان لهذه الحماسة أثرها خاصة في المكونات الشيعية في البلدان ذات الأغلبية السنية فتحركوا. كان الشيعة في لبنان يشكون تهميشاً فكونوا حركة أمل التي انبثق عنها فيما بعد حزب الله.

تداعت المؤثرات الدولية بعد ذلك. فالسوفيت احتلوا أفغانستان لكيلا تنتقل الثورية الإسلامية عبرها لآسيا السوفيتية الوسطى. واحتلال أفغانستان أدى لحركة الجهاد المضادة ثم إلى تكوين القاعدة لطرد السوفيت من أفغانستان.

وبعد حوادث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في نيويورك وواشنطن تنمرت الولايات المتحدة فاحتلت أفغانستان لأنها آوت القاعدة ثم زورت أسباباً لغزو واحتلال العراق.

هذا التنمر الأمريكي صار جزءاً من سياسة دفاعية أعلنتها الولايات المتحدة استجابة لرؤى المحافظين الجدد الذين رافعوا من أجل قرن أمريكي جديد بعد أن انتصرت الولايات المتحدة على الاتحاد السوفيتي في الحرب الباردة في ١٩٩١م.

سياسة أمريكا الدفاعية صارت: عدم السماح لأية قوة تساويها، وحقها في الدفاع عن نفسها ولو منفردة، وحقها في هجوم استباقي على أعدائها.

وبما أن إيران صارت متحدية الولايات المتحدة فقد صنفها الأمريكيون مع كوريا الشمالية، وكوبا، محوراً للشر.

اتخذ الرئيس الإيراني محمد خاتمي[1] نهجاً معتدلاً ولم تقابله الإدارة الأمريكية باستجابة، بل صنفت إيران جزءاً من محور الشر. هذا التصعيد هو الذي أدى لرئاسة أحمدي نجاد[2] المتشددة.

(١) محمد خاتمي (ولد ١٩٤٣) الرئيس الخامس للجمهورية الإيرانية في الفترة (١٩٩٧-٢٠٠٥م) وقائد تيار الإصلاحيين في إيران.

(٢) محمود أحمدي نِجَاد (ولد ٢٨ أكتوبر ١٩٥٦م): الرئيس السادس للجمهورية الإيرانية (٢٠٠٥م-١٥ يونيو ٢٠١٣م)..

كما صنفت إيران أمريكا بأنها الشيطان الأكبر.

في وجه هذا الموقف حرصت إيران على الاستقواء بالمكونات الشيعية في العالم حولها. اتخذت إيران موقف الدعم للمقاومة الفلسطينية وبالتالي لحماس. ودعمت علاقتها بسوريا التي يحكمها نظام اسمياً بعثي ولكن فعلاً علوي. العلويون مختلفون من الشيعة الاثني عشرية ولكن روجعت العلاقات للتضامن في ظل الشيعة الاثني عشرية. بموجب هذه المراجعة في أوائل السبعينات من القرن الماضي اعترف الشيعة بأن العلويين مسلمون حقيقيون.

الحرب الباردة بين أهل السنة والشيعة أدت لظاهرة الشيعية السياسية، وفيها تكونت جبهة شيعية من الاثنى عشرية، والزيدية، والعلويين.

كان من نتائج الاحتلال الأمريكي للعراق ظهور نظام سياسي غلب عليه الشيعة ولا سيما في عهد رئيس الوزراء نوري المالكي(١). العراق بعد الاحتلال الأمريكي وبعد الانسحاب الأمريكي صار تحت هيمنة شيعية وحكم ذاتي شبه مستقل للأكراد في كردستان العراق.

اندلعت ثورة «الربيع العربي» في سوريا في عام ٢٠١١م وقد كانت سلمية ولكن النظام الحاكم الذي نبهته ثورات الربيع العربي في تونس وفي مصر استعد لقمعها بالقوة. لذلك تحولت المواجهة في سوريا إلى مواجهة قتالية مع الوقت اتخذت طابعاً طائفياً يستند لدعم إقليمي ودولي.



(١) نوري كامل محمد حسن المالكي أو جواد المالكي أو أبو إسراء، (ولد يونيو ١٩٥٠م): رئيس مجلس الوزراء العراقي في الفترة (٢٠٠٦ - ٢٠١٤م)، نائب رئيس الجمهورية السابق (سبتمبر ٢٠١٤- أغسطس ٢٠١٥م)، أمين عام حزب الدعوة الإسلامي.

الباب الثالث

القاعدة، داعش والدولة الإسلامية (النشأة والتطور)

تطور القاعدة:

قبل الغزو السوفيتي لأفغانستان لم تكن هناك قاعدة. ولكن الغزو أشعل حماسة الجماعات الإسلامية في أفغانستان للتصدي له تحت راية الجهاد. الجماعات الإسلامية الأفغانية لم تكن ذات نزعة حركية ولكن الغزو أثارها. وتقاطرت جماعات إسلامية من أطراف العالم الإسلامي بدعم غربي وعربي كبير.

الدعم الغربي للجهاد الأفغاني هدفه أن يقيموا للاتحاد السوفيتي «فيتنامه» في أفغانستان. وقد كان.

الشيخ أسامة بن لادن وجماعته هبوا للمشاركة في الجهاد في أفغانستان وأبلوا بلاءاً حسناً وصار يشار لأسامة على أنه «جيفارا» عربي.

بفضل هذا الدعم حصلت القاعدة على تمويل، وتنظيم، وتدريب لم يسبق أن حصلت عليه أي منظمة غير حكومية.

القاعدة رحبت بالاستعانة بالأمريكان لمحاربة السوفيت. ولكن في مرحلة لاحقة عندما تكونت عاصفة الصحراء ضد النظام العراقي رأوا أن الاستعانة بقيادة الكافر لقتال مسلمين حرام. بل اقترحوا على القيادة السعودية أن يكونوا هم من يحرر الكويت وشجبوا عاصفة الصحراء.

وفي مرحلة لاحقة كونت القاعدة الجبهة الجهادية لقتال الصهيونية والصليبية ووجهوا بأسهم على الولايات المتحدة لسببين:

الأول: أنها تهيمن على العالم الإسلامي وتدعم إسرائيل.

الثاني: أن نظم الحكم الاستبدادية في العالم الإسلامي تحظى بدعم أمريكي لاستمرارها. حقيقة اعترفت بها وزيرة الخارجية الأمريكية السيدة كونداليسا رايس في محاضرة في جامعة القاهرة في ٢٠٠٥م إذ قالت: «لمدة ٦٠ سنة دعمت بلادي الحكومات الاستبدادية بهدف المحافظة على الاستقرار وفي النهاية فات علينا أن نحقق أيهما».

القاعدة لا تنطبق عليها أوصاف الحركات الإرعابية المعهودة فقد اتخذت لقيادتها مركزاً. وتسلحت بأيديولوجية ذات حواضن في التراث الديني في المجتمعات المسلمة. أيديولوجية تجاوب معها كثيرون فأمكن تكوين القاعدة في أرض الرافدين، والقاعدة في الجزيرة العربية، والقاعدة في المغرب، وتحالفت معها حركات أخرى. وحتى الذين لم يكونوا تنظيمات تعاطف بعضهم مع القاعدة.

في أكتوبر ٢٠٠١م ورد أن وكالة المخابرات الداخلية السعودية أمرت بإجراء استطلاع سري في صفوف الرجال السعوديين الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٥ إلى ٤١ سنة، حيث تبين أن ٩٥٪ منهم استحسنوا موقف أسامة بن لادن (مجلة نيوزويك، ٢٢/ ٧/ ٢٠٠٢م). ووردت نفس الإشارة في مجلة الإكونمست، ٢/ ٢/ ٢٠٠٤م). منذ حوادث سبتمبر في نيويورك وواشنطن أعلن الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش[1] حرباً سماها مرة «صليبية» عالمية على القاعدة.

شن حرب عسكرية دون مراعاة العوامل المغذية للقاعدة كانت له نتائج عكسية. قال السير ايفور روبرتس[2] سفير المملكة المتحدة في ايطاليا: إن أكفأ

(١) جورج واكر (دبيلو) بوش George W. Bush (الابن) (ولد ٦ يوليو ١٩٤٦)، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الثالث والأربعون (٢٠٠١ -٢٠٠٩).

(٢) السير ايفور روبرتس (Sir Ivor Roberts)، (ولد ٢٤ سبتمبر ١٩٤٦): دبلوماسي بريطاني سابق والرئيس الحالي لكلية ترينيتي (Trinity) في جامعة أكسفورد.

صول تجنيد للقاعدة هو الرئيس بوش. إذا كان لأحد أن يحتفل بإعـادة انتخابـه في عام ٢٠٠٤م إنه القاعدة. (مجلة تايم ١٨/ ١/ ٢٠٠٥م).

لم يكن للقاعدة وجود في العراق قبل الغزو الأمريكي للعـراق في عـام ٢٠٠٣م. وقبل الغزو وجهتُ خطاباً للرئيس الأمريكي جورج بوش قلت فيه: «إنك لن تجد مقاومة عسكرية تذكر في احتلال العراق. ولكـن ظـروف الـبلاد سـوف تجعلـك تحقق نصراً عسكرياً سوف يعقبه حتماً إخفاق سياسي كبير لذلك لا تقدم على هذا الغزو».

واجه الاحتلال الأمريكي للعراق مقاومة من كثير من العناصر القبلية، والبعثية، والإسلامية في العراق وفي عام ٢٠٠٤م أعلـن أبـو مصـعب الزرقـاوي[1] تأسـيس تنظيم القاعدة في العراق.

هكذا نرى أن للحرب الباردة (١٩٤٨-١٩٩١م) دوراً مهماً في تطـور القاعـدة كما أن للأساليب الخاطئة ضدها دوراً في نموها ولاحتلال العراق كـذلك دوره في تمدد القاعدة.

نشأة داعش ثم الدولة الإسلامية:

احتلت أمريكا العراق دون إدراك العواقب الوخيمة لذلك.

حالفت أمريكا الأكراد وساعدتهم على السيطرة على إقلـيم كردسـتان العراقـي، واستطاع الشيعة بحكم إعدادهم ووحدة قيادتهم الدينية أن يسيطروا عـلى السـاحة السياسية العراقية.

هذه التطورات أشعرت السنة في العـراق بـالتهميش، فانـدفعوا يقـاومون الاحـتلال الأمريكي، ثم يقاومون الحكومة الطائفية بقيادة نوري المالكي (٢٠٠٦- ٢٠١٤م).

(١) أبـو مصـعب الزرقـاوي، أحمـد فاضـل نـزال الخلايلـة (١٩٦٦ - ٢٠٠٦م): أردني قـام بأعمـال تفجيرات خلال حرب العراق، مؤسس وزعيم «تنظيم التوحيد والجها»، والذي عرف لاحقـاً بــ «تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين» وظل زعيمه حتى وفاته.

كانت الفصائل الإسلامية بارزة في تلك المقاومة المسلحة وانضم إليهم جماهير حزب البعث المحظور والذي قدم لحلفائه دعماً من المال والسلاح. وانضم إلى هذه المقاومة عدد كبير من الضباط والجنود من الجيش العراقي المسرح. كان من الفصائل الإسلامية المنضمة لهذا التحالف جماعة التوحيد والجهاد، وهم فرع القاعدة الذي أسسه أبو مصعب الزرقاوي وصاروا قاعدة الجهاد في أرض الرافدين، وجبهة النصرة السورية، وغيرها. هؤلاء بعد مقتل أبو مصعب الزرقاوي في ٢٠٠٦م وخلفه أبو عمر البغدادي توحدوا تحت مسمى الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش).

التحقت بداعش جماعات كثيرة من خارج منطقة المشرق: أنصار الشريعة في تونس، وإمارة سيناء المصرية، وبوكو حرام في نيجيريا، والحركة الإسلامية في أزود بشمال غرب مالي، وأنصار الشريعة في ليبيا. انضمام هذه الإمارات والكيانات هو الذي جعل داعش تسمى نفسها: الدولة الإسلامية وتحظر اسم داعش.

أبو عمر البغدادي قتل في ٢٠١٠م. وخلفه أبو بكر البغدادي في ٢٠١٢م. بويع البغدادي خليفة للمسلمين في ٢٩/ ٦/ ٢٠١٤م.

الفرق بين القاعدة والدولة الإسلامية المزعومة:

كانت القاعدة في أرض الرافدين وجبهة النصرة السورية كلاهما تعتبران جزءاً من تنظم القاعدة الذي أسسه أسامة بن لادن وخلفه بعد مقتله د. أيمن الظواهري.

ولكن القاعدة لم تر أن وقت تكوين الخلافة قد حان، بينما داعش سبقت إلى ذلك وصار أسلوبها مسك الأرض وضمها لدولة الخلافة.

أيمن الظواهري يطالب أن تكون البيعة له ولكن أبو بكر البغدادي[1] بعد

(١) أبو بكر البغدادي (ولد يونيو ١٩٧١م): عراقي، هو إبراهيم عواد إبراهيم علي البدري السامرائي البغدادي قائد تنظيم القاعدة في العراق خليفة الدولة الإسلامية والمُلقب بأمير دولة العراق الإسلامية.

احتلال الموصل في العراق ومدن أخرى، والرقة في سوريا ومدن أخرى اعتبـر مـا فعله مميزاً ويستحق أن تكون البيعة له.

بين القاعدة، وداعش أو الدولـة الإسـلامية انـدلع تنـافس عـلى قيـادة الجهـاد العالمي.

نشأت بينهما خلافات فقهية تدل على أن داعش أكثر تشدداً في أحكامها، مـثلاً: «في حكم من يأتي بعمل مخالف للعقيدة ولا يدري حرمته» تقول عـنهم القاعـدة: إنهم مسلمون فاسقون. ولكن داعش تعتبرهم مرتدين كافرين. بل تعتبر داعش من لا يبايع خليفتها كافراً يستباح دمه.

ولكن أهم فرق بينهما في السياسة أن القاعدة تعطـي أولويـة لقتـال الأمريكـان بينما داعش تعطي أولوية لقتال الشيعة. هذا على الصعيد الإسـتراتيجي، أمـا عـلى صعيد الشرعية فإن أبابكر البغدادي يؤسس أحقيته بالبيعـة عـلى القرشـية، أي أنـه قرشي النسب.

إن تشـخيص ظـاهرة الدولـة الإسـلامية المزعومـة هـذه بمفـاهيم الإرعـاب المعهودة معيب لأن الظاهرة تنطلق من حواضن دينية وثقافيـة واجتماعيـة تـدعم أطروحاتها أهمها:

- رغم غرابة أساليب داعش والدولـة والوحشـية المبـالغ فيهـا فإنهـا تلبـي أشواق تقليدية لكثير من الناس الذين يتشوقون لإقامة الخلافة. ولتطبيق الشـريعة وهم يعبرون بذلك عن أشواق تقليدية منفصلة عن الواقع المعاصر.
- صار للشيعة دولة مركزية ثورية استطاعوا بعدها أن يكتسـبوا قـوة ونفـوذاً غير مسبوق بينما أهل السنة بلا ظهر ثوري يجدونه في هذه الدولة الوليدة.
- الدولة الوطنية غيـر العربيـة كمـا في تركيـا ذات جـدوى ونفـوذ وكـذلك أخريات. والدولة الوطنية غير السنية كمـا في إيـران ذات جـدوى ونفـوذ. الـدول الوطنية السنية العربية تعاني من هشاشة في الغالب.

داعش أو الدولة الإسلامية المزعومة تمثل خطراً على النظام الـدولي المعاصـر وتحدياً للدولة الوطنية في العالم العربي السـني ولكـن الـدول الإقليميـة المهمـة كتركيا محمية منها بأسباب اثنيـة وثقافيـة، وإيـران محميـة منهـا بأسـباب طائفيـة وسوف نفصل خطرها الكبير على العالم العربي السني.. خطرها أنهـا تقـدم نفسـها باعتبارها المدافع الأقوى عن أهل السنة في العراق، وفي سوريا، وفي الـيمن، وأنهـا تمثل خلافة المسلمين السنة في وجه الإمامة الشيعية.



الباب الرابع

أفريقيا جنوب الصحراء

هذا الكتاب لم يتناول ظاهرة التمرد على الواقع وإشعال ثورة الردة عن العصر في أفريقيا جنوب الصحراء، لا سيما حركة شباب الصومال في القرن الأفريقي، وحركة بوكو حرام في الساحل الغربي انطلاقاً من نيجريا. وسوف أتناول هذه الظاهرة بتفصيل في مقام آخر.

ومع اختلاف ظروف تلك الحركات فإنها تشترك مع القاعدة ودولة الخلافة في رفض الدولة الوطنية، ورفض النظام الدولي الحديث، والتطلع لنظام إسلامي بديل يجسد ماضياً غابراً.

خطر حركات الردة عن العصر الحديث والتطلع لبعث «إسلامي» في أفريقيا جنوب الصحراء كبير للغاية، كما تدل على ذلك حركة بوكو حرام. يتطرق هذا الفصل باقتضاب لنشأة وتطور تلك الحركة.

ترفد حركات التمرد المذكورة في أفريقيا جنوب الصحراء من غبن متراكم، وذلك لأن فترة الاحتلال الإمبريالي همشت المسلمين وشايعت التبشير المسيحي، وقطعت وسائل الاتصال بينهم وبين مراكز المعرفة الإسلامية. لذلك بعد أن نالت البلدان الأفريقية ذوات الأغلبية السكانية المسلمة استقلالها، نشأ استقطاب حاد بين التوجه الرسمي العلماني في السلطة، والتطلعات الشعبية لتطبيق الشريعة الإسلامية بصورة غير اجتهادية. لذلك خالفت بعض ولايات نيجريا الشمالية علمانية دستور بلادها، وقررت تطبيق الشريعة الإسلامية، ما غذى التوتر بين التوجه العلماني والإسلامي في البلاد.

في عام ٢٠٠٧م اكتشفت مفوضية مكافحة الفساد في نيجريا أن الحكام سرقوا ٣٠٠ بليون دولار من البلاد في الفترة ما بين ١٩٦٠م و١٩٩٩م.

وفي مدينة مايدغري قامت مجموعة من رجال الدين، وهم ينتمون لطائفة تسمى التنزيل، وبشروا بنهج تطهري في الدين والسياسة، وهاجموا حكام البلاد. كان هذا في سبعينيات القرن الماضي.

وفي ٢٠٠٥م، ظهر داعية اسمه محمد يوسف[1] تخرج من جامعة سعودية، واتخذ موقفاً متشدداً، فسحب البساط من جماعة التنزيل.

قال: لم نهتم بالتعليم على النهج الغربي ما دام الخريجون لا يجدون عملاً؟ وهاجم هذا التعليم لانحراف خريجيه، ودأبهم على سرقة أموال الشعب. لذلك أعلن كفره بالتعليم الحديث، وبالمجتمع الذي أقامه. وأعلن الدعوة لمجتمع طاهر خالٍ من هذا التشويه، وسمى الجماعة التي كونها: جماعة أهل السنة والدعوة والجهاد. ولكن الإعلام الرسمي سماهم بوكو حرام، بمعنى أن التعليم الغربي حرام.

كون محمد يوسف معسكراً سماه أفغانستان للدعوة ضد التقرب نحو الحضارة الغربية، وجند شباباً لأفكاره، وصاروا يقلدون المجاهدين الأفغان في ملبسهم.

شيع هؤلاء الشباب أحد موتاهم راكبين مواتر، وعلى رؤوسهم عمائم، بينما القانون يوجب أن يلبسوا خوذات. الشرطة أمرتهم بالإلتزام بالقانون، ولكنهم رفضوا نزع ما اعتبروه زياً إسلامياً، أي العمامة.

وأدى النزاع إلى مقتل ثلاثة أشخاص، ما أدى لتسيير مواكب احتجاج، ومواجهات، اعتبر محمد يوسف المحرض عليها فاعتقل وحوكم وأعدم. أدى

(١) حمد يوسف (١٩٧٠-٢٠٠٩م) هو سياسي نيجري، قائد جماعة بوكو حرام، ألقي القبض عليه في يوليو ٢٠٠٩ وقتل على يد الحكومة النيجيرية.

ذلك لمظاهرات احتجاج واسعة.

وفي يوليو ٢٠٠٧م مات ألف شخص.

اتسعت عضوية الجماعة بعد ذلك، وانطلقت مساجلات العنف بين السلطة والجماعة، واتخذت جماعة بوكو حرام نهجاً متطرفاً بلغ قمته في اختطاف طالبات مدرسة كاملة وأسرهن وإخضاعهن لبرنامج الجماعة.

وفي مرحلة لاحقة بايعت بوكو حرام البغدادي.

صار لبوكو حرام انتشار واسع في مناطق الساحل الأفريقي الغربي. ومع أن أساليبها في غاية الوحشية، فإن ظروفاً اجتماعية وثقافية تجذب إليها تعاطفاً يجعل التصدي لحسمها بالوسائل الأمنية وحدها مستحيلاً.



الباب الخامس

تركيا وإيران

تركيا والقضية الإسلامية:

تركيا كانت مركز الدولة العثمانية، الخلافة التي استمرت أطول مما سبقها من عهود بني أمية وبني العباس. ومع أنها حققت انجازات تاريخية مهمة وحمت بيضة الإسلام دهراً طويلاً، فإنها شاخت وأدركها الوهن ومنيت بهزيمة كبيرة هي ومن حالفها في الحرب الأطلسية الأولى (١٩١٤- ١٩١٨م).

بعد تلك الهزيمة فقدت الدولة العثمانية عالمها، بل صارت تركيا نفسها عرضة للاحتلال الأجنبي.

قاد مصطفى كمال القوات التركية إلى نصر أنقذ تركيا من الاحتلال. ولكنه هو والطبقة السياسية المناصرة له ربطوا بين التدهور العثماني والإسلام، ما جعلهم يقدمون على إلغاء الخلافة ويعملون على تطبيق علمانية صارمة تطرد الماضي وتتطلع لمستقبل معادٍ للدين الإسلامي وللعروبة وقائم على بعث قومي طوراني، بل تفصل تركيا من تراثها بكتابة لغتها بالحرف اللاتيني بدل الحرف العربي. الكمالية التركية استقلت من أوربا سياسياً وامتثلت لها ثقافياً في عملية هندسة ثقافية تدير وجه الوطن التركي عن الشرق وتعزز انتماءه للغرب.. هذا التوجه فُرض على الشعب التركي بالقوة، فرضته قيادة نالت شعبية وطنية لدورها في حماية تركيا من الاحتلال الأوربي.

ولكن للإسلام جذوراً راسخة في تركيا، فانبرت تيارات فكرية وصوفية تتعامل مع نظام الحكم العلماني بأسلوب التقية، وتمارس انتماءها للإسلام بل تغرس للإسلام صروحاً فكرية قوية كما فعل بديع الزمان النورسي وعدد من الطرق

الصوفية التي تحسن الاحتماء من أحكام السياسة بالوسائل الروحية والتربوية.

وانطلقت كذلك حركات تخدم الإسلام عبر الخدمات الاجتماعية كما فعل فتح الرحمن كولن[1] وحركة الخدمة التي أسسها.

النظام العلماني المعادي للدين في تركيا صار أمانة في عنق القوات المسلحة التي واصلت رعايتها له حتى بعد وفاة مصطفى كمال مؤسس النظام العلماني في تركيا.

وفي مرحلة لاحقة انطلقت حركة إسلامية ذات طموح سياسي بقيادة نجم الدين أربكان[2]. حركة أربكان هذه تجنبت الوسائل الصدامية مع النظام العلماني، ولكنها أحيت اتجاهاً سياسياً مدنياً إسلامياً.

الشعب التركي شعب قوي الإيمان بالإسلام مهما طبقت عليه من نظم وثقافة علمانية. لذلك استجابت جماهير كبيرة لدعوة أربكان حتى نال أغلبية في الانتخابات البرلمانية. ولكن كلما حصل حزب أربكان على أغلبية انتخابية تعرض للحل على أيدي القيادة العسكرية راعية النظام العلماني.

يحمد للسيد نجم الدين أربكان أنه لم يلجأ للعنف بل واصل عمله بالقوة الناعمة.. يحقق نصراً انتخابياً، ويحل حزبه، ثم يعود للساحة السياسية باسم جديد. حدث هذا أربع مرات ما اثبت أنه إنما يغرف من قوة اجتماعية ثابتة.

كان الحزب الأول الذي أسسه اربكان باسم الإنقاذ الوطني، وبعد حله عاد باسم حزب الرفاه، وبعد حله عاد باسم حزب الفضيلة.

تجنباً لهذه المساجلة قرر بعض أعضاء حزب الفضيلة اتباع نهج جديد فيه

(١) محمد فتح الله كولن (ولد أبريل ١٩٤١م): مفكر إسلامي وداعية تركي، يوصف بأب الإسلام الاجتماعي.

(٢) نجم الدين أربكان (٢٩ أكتوبر ١٩٢٦ - ٢٧ فبراير ٢٠١١): مهندس وسياسي تركي تولى رئاسة حزب الرفاه ورئاسة وزراء تركيا من الفترة بين ١٩٩٦ و١٩٩٧ عرف بتوجهاته الإسلامية.

تعايش مع النظام العلماني. هذا النهج الجديد لم يرض عنه نجم الدين أربكان، ولكنه وجد تأييداً شعبياً عريضاً.. هذا النهج قاده رجب طيب أردوغان(١). وكون هو وزملاؤه حزب العدالة والتنمية.

هذا الحزب أبطن الصفة الإسلامية وأعلن قبول العلمانية(٢). هذا الحزب حقق إنجازاً ملحوظاً في إدارة أنقرة، وفي عام ٢٠٠٢م فاز بالأغلبية البرلمانية في تركيا. ومنذئذٍ سيطر هذا الحزب على حكم تركيا حتى آخر انتخابات عامة في اكتوبر ٢٠١٥م.

إن نجاح حزب العدالة والتنمية اعتمد على توفيق بين نهجين إسلامي وعلماني، وعلى روافع الإنجاز الاقتصادي والانضباط الإداري. نجاح حزب العدالة والتنمية في الساحة التركية دليل على إخفاق تشدد البرنامج الكمالي.

إخفاق الكمالية في تركيا يعود لسببين هما:

الأول: التشدد العلماني بصفة معادية للدين في وسط شعب تركي قوي الانتماء للإسلام، بل يدرك أن أمجد فترات تاريخه كانت في ظل الإسلام لذلك قامت ضد الكمالية المعادية للدين ردة فعل مضادة.

السبب الثاني: الحضارة الأوربية التي تعلن العلمانية الجاذبة للفكر الكمالي ولفكر العلمانيين في بلاد الإسلام ليست محايدة دينياً بل تبطن قيماً وثقافة ذات جذور ثقافية أوربية ومسيحية.

إن للحضارة الغربية انجازات عظيمة في الفكر، والسياسة، والاقتصاد،

---

(١) **رجب طيب أردوغان (٢٦ فبراير ١٩٥٤ -)**: رئيس تركيا الثاني عشر والحالي منذ 28 أغسطس 2014 م، ورئيس وزراء تركيا منذ (١٤ مارس ٢٠٠٣م) حتى أغسطس ٢٠١٤م ورئيس حزب العدالة والتنمية.

(٢) **العلمانية** ترجمة على غير قياس لكلمة secularism، وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية saecularis وتعني دنيوي أو زماني، أي راجع للعالم المشاهد والآن بدون العودة للدين، فهي على اشتقاق من عالم أو دهر وليس من علم.

والتكنولوجيا. ومع ذلك فإنها تخطئ في التعامل مع الحضارات الأخرى لأنها:

- تنكر دينها للحضارات الأخرى. وثق مارتن برنال[1] في كتابه «أثينا السوداء» لحجم ما ساهمت به الحضارتان المصرية القديمة والفينيقية في تكوين الحضارة اليونانية الرومانية. ووثق الأستاذ منتجمري واط[2] في كتابه «آثار الحضارة الإسلامية على أوربا القرون الوسطى» ما استمدته أوربا من الحضارة الإسلامية فهي التي أيقظت أوربا من ظلام قرونها الوسطى.

- تدعي الحضارة الغربية الحياد في أمر الدين، بينما تمارس واقعاً فيه نفوذ ديني واضح المعالم. تتسمى بعض أحزاب أوربا السياسية بالمسيحية، وفي بريطانيا الملكة ترأس الدولة والكنيسة معاً. وفي أمريكا أجرى استطلاع بيو استطلاعاً كانت نتيجته أن ٤٩٪ من الشعب يؤيدون دوراً في الحياة العامة للكنيسة. وقال ودرو ويلسون[3]: إن لأمريكا طاقة روحية تؤهلها للمساهمة في تحرير الإنسانية.

- ولدى الحضارة الغربية رغبات واضحات في اعتبار قيمها مقياساً للتحضر الإنساني، ما يجعلها تحرص على تشكيل الحضارات الأخرى على شاكلتها.

الحضارات الأخرى سوف تعترف للحضارة الغربية بإنجازاتها وسوف تقتبس منها بالصورة التي تلائم قيمها الحضارية.

التجربة التركية تجربة للتعايش بين الإسلام والعلمانية، وقد نجحت في إقامة نظام ديمقراطي مستقر، ونظام اقتصادي مثمر، واستطاعت أن توطن التكنولوجيا

(1) **Martin Bernal,** ***Black Athena: The Afroasiatic Roots of Classical Civilization,*** Published November 1st 1987 by Rutgers University Press

(٢) وليام مونتجمري واط (١٤ مارس ١٩٠٩- ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٦م) مؤرخ اسكتلندي، كان أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة ادنبره، يعتبر ذا نفوذ كبير في مجال الدراسات الإسلامية في الغرب

(٣) ودرو ويلسون (١٨٥٦ - ١٩٢٤م): الرئيس الثامن والعشرون للولايات المتحدة الأمريكية الفترة من (٤ مارس ١٩١٣ إلى ٤ مارس ١٩٢١م).

الحديثة، وأن تجعل ولاية الأمر السياسي انتخابية مدنية لتحصر القوات المسلحة نفسها في دورها المهني. هذا النجاح سوف يعصم تركيا من تحديات «الدولة الإسلامية»، كذلك تتوافر لها منها حماية ثقافية وإثنية.

إيران والصحوة الإسلامية:

في إيران اتخذ آل بهلوي نهجاً مماثلاً للنهج الكمالي في تركيا، ولكن وجود المؤسسة الشيعية القوية في إيران فرض تعايشاً بين نظام الحكم العلماني والمؤسسة الشيعية الدينية.

اتجاه الشاه العلماني صحبه انتماء للغرب، وفي أثناء الحرب الباردة نمت ضد الشاه معارضة يسارية ومعارضة دينية.

استطاع الشاه بنظام أمني قوي ودعم غربي أن يستأصل قنوات المعارضة اليسارية، والليبرالية، ولكن المعارضة الدينية بقيت وعندما نضجت الظروف الثورية في البلاد قادت الثورة.

الإمام روح الله الخميني قائد الثورة يحمل تصوراً ثيوقراطياً للحكم سماه ولاية الفقيه. ولاية الفقيه مشابهة تماماً لمفهوم الحاكمية لدى المودودي وسيد قطب.

الفكر الشيعي يؤمن بالأئمة الاثني عشر، وبأن هؤلاء معصومون، وهم أئمة تعيين إلهي، وعلى الجميع طاعتهم، والإمامة المطاعة هذه كالنبوة من ينكرها كافر. وعلى مراجع التقليد توجيه المسلمين إلى أن يظهر قائم آل محمد يوماً ما. والاعتقاد أنه سوف يظهر عندما تكون الأوضاع قد بلغت غايتها من السوء.

الخميني أجرى تعديلات خفية على هذه المعتقدات أهمها:

- عدم تكفير المسلمين الذين لا يؤمنون بالإمامة.
- عدم إرجاء الإصلاح إلى أن يظهر الإمام المنتظر.

- ولاية الفقيه تحل محل الإمام الغائب.
- ولاية الفقيه ليست تعيين إلهي بل بشرى إذ يختاره العلماء.
- إدارة الحكم الفعلية تتولاهـا قيـادة سياسـية منتخبـة، ومجلـس تشـريعي منتخب.
- المؤسسات المنتخبة هذه تخضع لإرشاد ولاية الفقيـه وكـل الانتخابـات المبرمجة انتقائية.

إن أهم منجزات الإمام الخميني للفكر الشيعي هـي: نقـل الانتظـار السـلبي للمهدي إلى ولاية فاعلة تقوم بوظيفة الإمام، بل يسمى إمام على خلاف المعتاد، إذ عبارة إمام محصورة في اثني عشر معصومين. الولي الفقيه يأخذ الزمن بنفسه ويقود مصير الأمة.

ولاية الفقيه كما سجلها الإمام الخميني تطابق فكرة الحاكمية لدى المـودودي وسيد قطب.

ولكن في آيات الله من اعترض على هذا الفهم للولاية. قـال آيـة الله منتظـري[1] الذي كان مهيئاً لخلافة الخميني: ينبغي حصر ولاية الفقيه في المسائل الشعائرية.

الآن في إيران مدرستان: مدرسـة محافظـة تقـول بالولايـة الشـاملة، ومدرسـة إصلاحية تعدل ذلك.

ولكن بعد أكثر من ثلاثة عقود من ولاية الثورة في إيـران اسـتطاعوا أن يحققـوا دولة مستقرة قياداتها بصورة محدودة منتخبة، وقواتهـا المسـلحة خاضـعة للقـرار المدني، وأثناء الحصار الدولي استطاعت الدولة أن تسكن التكنولوجيا وأن تحافظ

(١) حسين علي منتظري- آية الله (١٩٢٢- ٢٠٠٩م): مرجع دين إيراني، فيلسوف، كان قاب قوسـين أو أدنى من خلافة آية الله الخميني، لكن انتقاداته لولاية الفقيه التي يستمد منها النظـام الحـاكم في إيران شرعيته، وموقفه الذي وصفه المحافظون باللين فيما يتعلق بمسألة حقوق الإنسـان، كانـت مبررا لعزله عام ١٩٨٨م.

على نهج سياسي تعددي بل فيه تيار إ صلاحي يقوده الآن السيد حسـن روحـاني[1] ويحظى بدعم شعبي واحترام إقليمي ودولي.

هذا معناه أن التجربة الإيرانية سوف تقدم توفيقاً بين ولاية الفقيه وولاية الأمة، وتصير قدوة للفكر السياسي الشيعي الذي يمكن أن يتخلى من عقائد مستحيلة كما صار يقول كثير من قادة الشيعة في العراق، وفي لبنان، وفي إيران.

ما يجمع الشيعة الآن نتيجة للمواجهات مع أمريكا ومع أهل السنة هـو شـعور بمصير مشترك يوحدهم على خلاف إثنياتهم ولغـاتهم وثقافـاتهم. هـذا الأمـر هـو الذي أطلق فكرة محور شيعي إقليمي عابر للحدود الوطنية بقيادة إيران. ولكن في لبنان نخب شيعية تخالف حزب الله. والشيعة في الخليج منقسمون مـا بـين فكـرة الاندماج أو الثورة. وفي العراق انقسام بين الشـيعة حـول كيفيـة إدارة بلـد متعـدد الهويات؟ وكيفية التعامل مع صراع المحاور الإقليمية.

حول هذه القضايا يوجد تيار يقوده المالكي، في إطار ائتلاف دولة القـانون؛ وآخـر مضاد له مكون من المجلس الأعلى الإسـلامي العراقـي والتيـار الصـدري تـدعمهم مرجعية النجف. هذا التيار أقرب للتفاهم مع الهويات المتعددة لا سيما أهل السنة.

وفي إيران انقسام بين الإصلاحيين والمحافظين حول إدارة الدولة وكيفية إدارة المحور الإقليمي.

التجربة الإيرانية لن تتأثر بداعش والدولة الإسلامية لسببين: التجربة بناءة، ولا تتأثر بتحد سني عربي بسبب المانع الطائفي والثقافي.

العناصر التي تجذبها داعش و«الدولة الإسلامية» إليها :

لن تجذب «الدولة الإسلامية» عناصر من تركيا ولا إيران للأسباب المـذكورة هنا. ولكنها شدت إليها عناصر من ثلاث جهات ما مكنها أن تستقطب جنوداً مـن

(١) حسن روحاني (ولد ١٩٤٨م): المرشح الفائز في انتخابات الرئاسة الإيرانيـة لسـنة ٢٠١٣ ليكـون بذلك الرئيس السابع للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

حوالي مائة دولة.

الجهة الأكثر ميلاً لخطاب «الدولة الإسلامية»:

المنطقة العربية ذات الأغلبية السنية ما بين الخليج إلى المحيط منطقة مميزة: في هذه المنطقة منابع حضارات الإنسان الكبرى: السومرية، والآشورية، والبابلية، والفرعونية، والفينيقية، والعربية، والكوشية. وهي كذلك مهبط الأديان الإبراهيمية الثلاثة. ومع ذلك فإنها الآن بالقياس لما يحيط بها من دول: تركيا، وإيران، وإسرائيل بمقياس الجدوى تمثل ثقباً أسود في خريطة الجدوى الدولية. كما إنها تعاني من عيوب سبعة عالقة بها، وهي:

الأول: باستثناء محدود، دول هذه المنطقة إما دول فاشلة أو دول غائبة عن العصر.

الثاني: أكثر دول العالم خضوعاً لحكم الفرد المطلق.

الثالث: أكثر دول العالم تغريباً للثروة.

الرابع: أكثر دول العالم معاناة من فجوة اجتماعية بين قلة ثرية وكثرة عاطلة وفقيرة.

الخامس: أكثر دول العالم اعتماداً على غيرها في أمر استيراد الغذاء واستيراد التكنولوجيا.

السادس: أكثر دول العالم اشتباكاً في حروب أهلية، وعدد نازحين وعدد لاجئين.

السابع: أقل دول العالم ممارسة لاستقلال القرار الوطني.

هذه العوامل تجعل شعوب هذه المنطقة أكثر استعداداً لقبول خطاب راديكالي للإطاحة بهذا الواقع، لا سيما إذا كان هذا الخطاب يستجيب لتطلعات بعض التيارات المتطلعة للخلافة ولتطبيق الشريعة من منطلق حماسة سنية تتصدى

للتمدد الشيعي. صحيح هي تطلعات خالية من التدبر الذي يستوجبه القرآن، ولكنها بعنفها تراود ما نسب للنبي ﷺ من حسم. روى أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمر: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، ومن تشبه بقوم فهو منهم». إنها مفاهيم يقبلها كثيرون مع أنها مخالفة للقرآن: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [1]. ومخالفة للواقع، فالإسلام لم ينتشر بالسيف كما أوضح الأستاذ توماس آرنولد[2] في كتابه «الدعوة للإسلام». ومخالفة للواقع أيضاً فالساعة لم تقم وقد مضى على الحديث ألف وخمسمائة عام.

إذن كثير من شباب المنطقة المذكورة، نتيجة لعوامل كثيرة، لبوا دعوة داعش ثم «الدولة الإسلامية».

الجهة الثانية: جاء في صحيفة التايمز (٣١/ ١٠/ ٢٠١٤م) أن واحد من كل سبعة من الشباب البريطاني يتعاطون مع داعش. النسبة في فرنسا واحد من كل أربعة.

الذين يلبون دعوة داعش ثم «الدولة» نوعان:

النوع الأول: من الجيل الثاني والثالث من مهاجرين استقروا في الدول الغربية. هؤلاء في البداية وجد آباؤهم أن حياتهم في دار المهجر أفضل منها في أوطانهم الأصلية، ولكن الأجيال اللاحقة تقارن بين حالها وحال المواطنين الأصليين فيجدونها تفتقر للندية فيشعرون بأزمة انتماء ما يشد بعضهم لنداء مثل نداء «الدولة الإسلامية». الحقيقة أن المجتمعات الغربية لا تهضم الثقافات الوافدة بسهولة، فالحركة الصهيونية هي ردة فعل يهودية في أوربا بسبب اللا سامية.

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

(٢)توماس وولكر آرنولد (Thomas Walker Arnold) (١٨٦٤ - ١٩٣٠)، السير، مستشرق بريطاني شهير

Thomas Walker Arnold, The preaching of Islam : a history of the propagation of the Muslim faith, London Constable & Company Ltd, 1913.

النوع الثاني: هنالك نزعات في المجتمعات الغربية تأخذ على النظام الرأسمالي أنه ظالم بل المال يشوه عدالة الديمقراطية. هؤلاء كانوا يجدون في الماركسية ملجأ وصاروا يميلون لأية دعوات ناقدة للرأسمالية. من هؤلاء من شدتهم حركات الربيع العربي فنادوا باحتلال (السيتي) في لندن: المركز المالي، وباحتلال وول ستريت في واشنطن: مركزها المالي. ومن الشباب الغربي من هم ضد الحداثة نفسها كما ظهر في محاكمة شارلس مانسون[1] زعيم الهيبيز الذين اغتالوا الممثلة شارون تيت[2] بصفتها رمزاً للمجتمع الأمريكي. هؤلاء تجذبهم الحركات المعادية للحداثة.

المجتمعات الغربية أفرغ بعضها الترف من الإشباع الروحي والعاطفي فصاروا يشعرون أن حياتهم خالية من معنى. وهو نفس الشعور الذي ألم ببعض شباب المسلمين من الأسر ميسورة الحال، فجذبتهم يقينيات داعش إلى راياتها. وصدتهم الحياة البرجوازية الفارغة التي تعيشها أسرهم.

داعش والخلافة وتطبيق الشريعة والشعوب السنية العربية:

المسلم الذي يلم بحقائق الوحي ويتدبرها. ويلم بوقائع التاريخ ويستوعبها تصده مقولات داعش وتصرفاتها. ولكن كثيراً من المسلمين السنة يتطلعون لإقامة الخلافة ويقدسون تاريخها كما يقدسون أحكاماً فقهية صاغها أئمة الاجتهاد ويتشوقون لتطبيقها.

تسمية أبي بكر الصديق[3] ﷺ خليفة بمعنى الشخص الذي خلف النبي محمد

(١) شارلس مانسون Charles Manson (نوفمبر ١٩٣٤م): مجرم أمريكي أشتهر في أواخر الستينات بعمليات القتل التي قامت بها عصابته، حوكم بالإعدام ١٩٧١م لجرائمه وخفف لاحقا للسجن المؤبد.

(٢) شارون تايت (1969 – 1943) (Sharon Tateم): ممثلة أمريكية زوجة المخرج رومان بولانسكي. قتلت عام ١٩٦٩ على يد عصابة المجرم الأمريكي شارلس مانسون.

(٣) أبو بكر الصديق (٥١ ق.هـ/ ٥٧٣م– ٨ جمادي الآخرة ١٣هـ): عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن كعب التيمي القرشي. الصديق. بويع بالخلافة يوم وفاة النبي (ص) سنة ١١ للهجرة.

ﷺ تسمية صحيحة. ولكن حكم النبي محمد ﷺ كان حكماً بتوجيه الوحي. أي حكم ثيوقراطي. ولكن أبابكر لم يخلفه في النبوة ولا في الاختيار الإلهي. إن اختياره بشري من قاعدة المؤمنين. والأحكام التي طبقها حتى إذا سندتها النصوص هي إجراءات اجتهادية تنسب إليه لا تنسب لرب العالمين. وهذا ينطبق على الخلفاء الراشدين من بعده. الخلفاء بعد ذلك في الدول: الأموية، والعباسية، والعثمانية لم يكونوا باختيار إلهي، ولا بانتخاب الشورى بل بالمغالبة لذلك أطلقوا على أنفسهم تسمية خليفة ليتخذوا منها شرعية غير مبررة.

خلفاء بني أمية وبني العباس انتحلوا لأنفسهم صفات ثيوقراطية تمثلها مقولة أبي جعفر المنصور[١]: إنما أنا سلطان الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وإرادته وأعطيه بإذنه.

ليس في الإسلام نظام دولة معين، بل توجد مبادئ سياسية كالكرامة، والعدالة، والشورى، والحرية، والمساواة، والسلام. ولا يجوز التسمي بالخلافة لأنها نيابة عن الأمة، هي التي تمنحها وهي التي تنزعها وهي التي تحاسب من تولاها. هذا الفهم واضح في مقولة أبي بكر الصديق ﷺ، غائب في مقولات خلفاء التغلب.

قال أبوبكر ﷺ: إني وليت عليكم (مبدأ المشاركة)، ولست بخيركم (جواز أن يوجد أفضل منه)، فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني (مبدأ المساءلة)، الصدق أمانة والكذب خيانة (مبدأ الشفافية)، الضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له والقوي منكم ضعيف حتى آخذ الحق منه (مبدأ سيادة القانون).

الخلافة كما مورست تاريخياً في العهود الأموية، والعباسية، والعثمانية، كانت تقوم على الانفراد بالولاية، والاحتكام للعنف على نحو ما قال الشهرستاني[٢] في كتابه

---

(١) أبو جعفر عبد الله المنصور (٧١٢-٧٧٥م): عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم، ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم.

(٢) أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م)، صاحب كتاب الملل والنحل.

«الملل والنحل»: ما سل سيف في الإسلام على أمر مثلما سل في الإمامة (الخلافة).

والعدل أهم مبدأ سياسي في الإسلام تتطلبه نصوص الوحي مباشرة بعد التوحيد لله. وكما قال ابن القيم: (إذا ظهرت إمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان، فثم شرع الله ودينه).

الجمع بين سلطات الدولة كما في الخلافة التاريخية ينافي استحقاقات العدالة التي توجب الفصل بين السلطات.

التطلع لتطبيق أحكام الشريعة كما استنبطها أئمة الاجتهاد تطلع خالٍ من فقه الأولويات، ومن فقه التدرج، ومن ضرورة الاجتهاد في تطبيق أحكام مر عليها ألف عام حدثت بعدها مستجدات كثيرة من مقاصد الشريعة أن تؤخذ في الحسبان.

تطبيق الأحكام التقليدية كما فعلت طالبان في أفغانستان وكما تفعل (الخلافة) في أراضيها يجافي مقاصد الشريعة. فالأمر يتطلب أن نعرف الواجب اجتهاداً والواقع إحاطة، ثم نزاوج بينهما كما قال ابن القيم. هذا ينطبق على الأحكام المدنية، والأحكام الجنائية، وأحكام المرأة، وأحكام الرق وغيرها.

علماء الفقه يعلمون هذا وينادون به ولكن حماسة الجهلاء تهرف بما لا تعرف.

قال ابن عابدين، الفقيه الحنفي[1]: «كثير من الأحكام يختلف باختلاف الزمان لتغير أهله أو لحدوث ضرورة أو فساد أهل الزمان بحيث لو بقي الحكم على ما كان عليه لزم منه المشقة والضرر بالناس. ما يخالف قواعد الشريعة الإسلامية المبنية على التخفيف ورفع الضرر». وقال ابن عقيل[2] الفقيه الحنبلي: «السياسة ما

(١) محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي (١٧٨٤ - ١٨٣٦م): فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره.

(٢) أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل (١٠٤٠-١١١٩م): شيخ الحنابلة، وصاحب تصانيف. من كبار الأئمة وكان صوفياً وصاحباً للغزالي.

كان فعلاً يكون الناس معه أقرب للصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يصفه الرسول ولا نزل به وحي».

قال ابن القيم معلقا على الذين يلزمون أنفسهم بالنصوص والقياس عليها: «هذا موضع مذلة أقدام ومضلة أفهام وهو مقام ضنك ومعترك صعب. فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجرؤوا أهل الفجور على الفساد وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ومحتاجة لغيرها. وسدوا على أنفسهم طرقاً صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له. وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعاً أنه حق مطابق للواقع، ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع. ولعمر الله إنها لم تنافِ ما جاء به الرسول وإن نفت ما فهموه هم من الشريعة باجتهادهم. والذي أوجب ذلك: نوع من التقصير في معرفة الشريعة وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر».

إقامة الخلافة، وتطبيق أحكام تقليدية، مفاهيم غير مجدية في تحقيق مقاصد الشريعة الآن. إن قفل باب الاجتهاد الفكري والفقهي، وتغييب العقل البرهاني، وحراسة ذلك بنظم حكم استبدادية سمحت لتلك المفاهيم المحنطة أن تبقى وتدرس في المعاهد ويستمد منها الدواعش وأمثالهم.

إن أوضاع البلدان العربية الإسلامية في المنطقة من الخليج إلى المحيط تتطلع للتغيير، وشعوب هذه المنطقة الأكثر ميلاً للنداءات الثورية حتى إن كانت ثورة للقفز للوراء.



الباب السادس

قصعة تتداعى عليها الأمم

اضطراب الدول الوطنية في المنطقة من الخليج إلى المحيط:

أولاً: نظم الحكم في هذه البلدان تقوم على السلطة المطلقة في الغالب، مـا نشـر ثقافة الرفض. قال أمل دنقل[١]:

تحدث عن الطقس إن شئت فأنت آمن

أو عن حبوب منع الحمل إن شئت فأنت آمن

هذا هو القانون في مزرعة الدواجن

وقال:

لا تحلموا بعالم سعيد

فخلف كل قيصر يموت

قيصرٌ جديد

ومع هذا الطغيان على الشعوب اعتماد على الأجنبي كما قال الشـاعر مصـطفى الجزار[٢]:

كفكف دموعك وانسحب يا عنترة

فعيـون عبلة أصبحت مستعمرة

لا ترجُ بسمة ثغرها يوماً فقد

(١) أمل دنقل (١٩٤٠م- ٢١ مايو ١٩٨٣م) شاعر مصري مشهور.

(٢) مصطفى أحمد إبراهيم محمد الجزار (يناير ١٩٧٨م): شاعر مصري.

سقطت من العقد الثمين الجوهرة

قبل سيوف الغاصبين ليصفحوا

واخفض جناح الخزي وارجُ المعذرة

فلم نعد قادرين على الدفاع عن أنفسنا كما شكى غازي القصيبي[1]:

أيها المخترع العظيم

يا من صنعت بلسما قضى على

مواجع الكهولة

وأنقذ الفحولة

أما لديك بلسم يعد في أمتنا

الرجولة؟

والجيوش المعدة للدفاع لا تقوم بواجبها كما قال أمل دنقل:

إن الرصاصة التي ندفع فيها

ثمن الكسرة والدواء

لا تقتل الأعداء

لكنها تقتلنا إذا رفعنا صوتنا جهارا

تقتلنا وتقتل الصغارا

ومع الاستبداد وانسياب أموال الموارد الطبيعية تفشى الفساد.

قال لويد جورج[1] رئيس وزراء بريطانيا الأسبق: هنالـك أنبـوب خفـي بـين

(١) غازي بن عبد الرحمن القصيبي (٢ مارس ١٩٤٠ ١٥ أغسطس ٢٠١٠م): شاعر وسفير ووزير سعودي.

أموال الموارد الطبيعية والجيوب الخاصة. وفي الواقع درجت منظمة الشفافية العالمية على تصنيف بلداننا العربية غالباً ضمن الأكثر فساداً.

ما أوحى للشاعر مظفر النواب قوله:

مولاي لا تلم الجوع الكافر

في هذا الزمن الكافر

أنا في صف الجوع الكافر

ما دام الصف الآخر

يسجد من ثقل الأوزار

والاستلاب الثقافي خاصة في منطقتنا هذه يمثل امتعاضاً واسع النطاق- مثلاً:

الأستاذ نجيب محفوظ(٢) روائي رائع، ورواياته أحيت الواقع الاجتماعي المصري في ثياب قصصية رائعة. ولكنه منح جائزة نوبل على عمل خالٍ من الإبداع: رواية «أولاد حارتنا» لم تجد تزكية إلا لأنها حتمت أفول نجم الدين مع انتشار المعرفة الطبيعية. وأرقام قينيس التي يتطلع الناس لتسجيل أرقامهم فيها خطة أبدعها منتجو جعة قينيس كجزء من الرواج لها. وأسماء المحلات التجارية والدعايات تكاد تكون كلها محاكاة لثقافات أجنبية ترسيخاً لدونية ثقافية بينما لثقافتنا اعتزازاً بتفردها كما قال أبو الطيب(٣):

وفي صـورةِ الرّومـيّ ذي التّـاجِ ذِلّـةٌ　　　لأبْلَـجَ لا تيجـانَ إلاّ عَمائِمُـهُ

---

(١) ديفيد لويد جورج (١٧ يناير ١٨٦٣- ٢٦ مارس ١٩٤٥م) رئيس وزراء بريطانيا طيلة فترة الحرب العالمية الأولى ولستين بعدها، والويلزي الوحيد الذي يصل لذلك المنصب في بريطانيا، وآخر رئيس وزراء للحزب الليبرالي.

(٢) نجيب محفوظ (١١ ديسمبر ١٩١١م- ٣٠ أغسطس ٢٠٠٦م) الروائي المصري الشهير الذي حصل على جائزة نوبل للآداب سنة ١٩٨٨.

(٣) أبو الطيب المتنبي (٣٠٣هـ/ ٩١٥م- ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م).

الغضب من القهر، والظلم الاجتماعي، والاستلاب الثقافي سبب احتقاناً واسع النطاق، ولكن الطغاة أتقنوا أساليب السيطرة بصورة محكمة بأجهزة استخبارات تحصي دبيب النمل، وأجهزة قهر فولاذية وأجهزة إعلام مضللة.

ولكن ثورة الاتصالات والحاسوب حققت ثورة التواصل الاجتماعي عبر الفيس بوك، والتويتر، واليوتيوب، والشبكة العنكبوتية ما صنع وسائل جديدة للاتصالات والتعبئة، مثلاً، في عام ١٩٩٧م استطاعت جودي ويليامز[1] الناشطة الشعبية في فيرمونت أن تنظم عبر الإنترنت عملاً أُبرمت نتيجة له اتفاقية تحريم الألغام الفردية رغم معارضة البنتاجون الأمريكي. لذلك وفي ١٩٩٨م استطاع ١٥٠٠ من جماعة نظمت حشداً في سياتيل عرقلة اجتماع مهم لمنظمة التجارة العالمية.

هذه الوسائل المستحدثة هي التي مكنت الغضب من استقتال محمد البوعزيزي[2] أن يؤدي لاحتجاج نظمه الشباب عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ما فجر الثورة الشعبية في تونس. ثم نفس الوسائل مكنت الشباب في مصر من تحويل احتفال بعيد الشرطة لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

الحقيقة أن ثورتي تونس ومصر عبرتا عن تطلع كل الشعوب العربية المكبوتة والمعبأة للثورة.

كان «الربيع العربي»، وهي تسمية غير مناسبة للتحرك الثوري، تطلع لنظام رشيد، وكرامة، وكفالة المعيشة، والعدالة الاجتماعية.

هنالك عوامل كثيرة لم تمكن ثورات «الربيع العربي» من تحقيق أهدافها بل

(١) جودي ويليامز (٩ أكتوبر ١٩٥٠م): أكاديمية أمريكية، حازت على جائزة نوبل للسلام مناصفة مع الحملة الدولية لمنع الألغام الأرضية التي أسستها، لجهودهما في منع الألغام واستخراج الموجود منها.

(٢) طارق الطيب محمد البوعزيزي (١٩٨٤- ٢٠١١م): شاب تونسي أحرق نفسه مفجراً الثورة التي أطاحت بالرئيس التونسي زين العابدين بن علي يناير ٢٠١١م.

جرت ضدها ثورة مضادة، وجرت معها حروب أهلية طائفية وإثنية، وأيدلوجية وتمدد للنفوذ الأجنبي في المنطقة.

الثورة انتكست وأسباب اندلاعها ما زالت موجودة، ولكن ما صحبها من اضطرابات، وحروب أهلية، وتدخلات أجنبية، أتاحت الفرصة للقاعدة ولداعش بأجندتهما الحوشية أن يجدا مجالاً أوسع للتمدد.

الظروف الاجتماعية في البلدان العربية ذات الأغلبية السنية من المحيط إلى الخليج جعلت الشعوب فيها الأكثر عرضة لدعايات القاعدة وداعش، وهما الآن تحاصران الدولة الوطنية في المنطقة لا سيما بعد أن عجزت ثورات الربيع العربي أن تحقق أهداف التغيير المنشودة.

هذا العجز عن تحقيق تغيير بنّاء، والتعرض لتغيير هدام هو الذي جعل رالف بيترز[1] يقول: «ينبغي أن نعتبر البلدان العربية من سكان العالم الإسلامي شعوباً عاجزة عن التحول البناء».

في نظر هؤلاء قدرنا أن نهزم التحول البناء، وبالتالي الاستعداد للتحول الهدام.

ظروف الشعوب العربية ذات الأغلبية السنية التي جعلتها الأكثر استعداداً لتغيير بنّاء عن طريق ثورات الربيع العربي التي تقاصرت عن تحقيق أهدافها، وزادت الطين بلة، هي نفسها التي تجعلها عرضة لنداءات التغيير الهدام ما لم تتوافر الفرصة لتغيير بناء.

الصراع على مستقبل المنطقة:

وصفت هذه المنطقة العربية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط والعربية على الخليج بأنها بؤرة رملية متحركة للنزاعات العرقية، والدينية، والمذهبية، وللعنف

(١) رالف بيترز (١٩٥٢م): كولونيل سابق في الجيش الأمريكي، ومراسل لمجلة القوات المسلحة الأمريكية.

والإرهاب وهو ما يبرر وصفها بأنها ثقب أسود.

تجاور هذه المنطقة ثلاث دول تمتاز على دول المنطقة بسبعة عوامل هي:

- تحكمها قيادات مدنية منتخبة.
- تسمح بدرجة معتبرة من التعددية السياسية.
- قواتها المسلحة تقف على مسافة من الشأن السياسي وتمارس درجة معتبرة من المهنية.
- مجتمعاتها حائزة على درجة معتبرة من التنمية والأمن الغذائي.
- مجتمعاتها استطاعت أن تحقق قدراً معتبراً من توطين التكنولوجيا الحديثة.
- قراراتها في الشأن الدولي نسبياً مستقلة.
- الجسم السياسي فيها نسبياً مستقر.

هذه الأوصاف تنطبق على ثلاث دول مجاورة لمنطقتنا هي: تركيا، وإيران وإسرائيل.

وتشترك هذه الدول الثلاث في أن لكل منها مشروع يتعدى حدودها القطرية: فإيران تتمدد خارج حدودها عبر وجود شيعي، وتركيا تراودها ذكريات عثمانية، وإسرائيل ملتزمة بمشروع صهيوني أممي وذو طموحات إقليمية موثقة.

هذا يعني أن هذه الدول الثلاث سوف يكون لها دور مؤثر على مصير المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج. ولا شك أن تنافساً إيرانياً تركياً سوف يتواصل في هذه المنطقة إحياءً لتنافس عثماني صفوي قديم في ثياب جديدة.

ولكن المنطقة سوف تجذب إليها حتماً تدخلاً أممياً لأن للمنطقة أهمية إستراتيجية تنطلق من سبعة عوامل هي:

- ما تحتوي عليه المنطقة من بترول هـو الوقـود الأفضـل للآلـة الصـناعية والعسكرية في العالم على نحو ما قال الـرئيس الأمريكـي السـابق آيزنهـاور[1]: لقـد سبح الحلفاء إلى النصر في الحربين العالميين الأولى والثانية على بحر من البترول.

صحيح إن الولايات المتحدة الآن في عهـد الـرئيس الحـالي بـاراك أوبامـا قـد طورت إنتاجها من البترول الصخري ما وصل إلى ١٠ مليـون برميـل يوميـاً، ومـا حقق لها اكتفاءً ذاتياً، أثرت عوامل في الماضـي عـلى سـعر البتـرول تـدنياً في عـام ١٩٨٦م وفي عام ٢٠٠٨م ولكن هذه المرة هنالك عوامـل زيـادة غيـر مسـبوقة في إنتاج البترول نتيجة لهذا النفط الحجري (Shale oil) في أمريكا. والنفط الـرملي (oil sands) في كندا واكتشاف حقول جديدة حول العالم في القطب الشـمالي وفي قاع البحار. تسييل الفحم الحجري (coal liquefaction) في أمريكـا والصـين واندونيسـيا. ولكـن سيكون للبتـرول العربـي أهميـة خاصـة للاتحـاد الأوربـي، ولعمالقة آسيا: اليابان، الصين، والهند. لذلك سيكون البترول العربي رقم مهم في الإستراتيجية العالمية. مع هبوط في أسعاره.

- هذه المنطقة تعتبر سوقاً استهلاكية نهمة لاعتمادها عـلى اسـتيراد الغـذاء، واستيراد السلع الصناعية، واستيراد السلاح. لذلك فهي سوق واسع للاستيراد.
- عوامل كثيرة جعلت المنطقة مصدر هجرات للغرب غير قانونيـة ومعبـراً لهذه الهجرات من أفريقيـا جنـوب الصـحراء. هجـرات تمثـل الآن تهديـداً أمنيـاً وخطراً على التوازن السكاني في أوربا.
- الموقع الجيوسياسي بين أوربا، وآسيا، وأفريقيا ووجـود أهـم الممـرات المائية داخلها يجعل المنطقة ذات أهمية إستراتيجية وتجارية.
- وجود إسرائيل في المنطقة يسوق إليها اهتماماً دولياً سواء لقيـام إسـرائيل بدور الشرطي للمصالح الغربيـة أو للتعـاطف الأمريكـي مـع إسـرائيل الـذي إن

(١) دوايت ديفيد أيزنهاور (١٨٩٠ - ١٩٦٩): سياسي وعسكري أمريكي والرئيس رقم ٣٤ للولايات المتحدة للفترة (١٩٥٣ -١٩٦١م).

ضعف في مستوى الجهاز التنفيذي الأمريكي فإنه ما زال قوياً في الـرأي العـام وفي الجهاز التشريعي.

- وصارت المنطقة مركزاً لتفـريخ الإرعـاب (الإرهـاب) الـذي يسـتهدف المجتمعات الغربية بصورة أساسية.
- ومن أهم العوامل الجاذبة للدول الكبرى للاهتمام بهذه المنطقـة هشاشـة دولها التي توصف بالاضطراب.

هذه العوامل تجعل المنطقة (كالقصعة) التي يتناوش مصيرها الطامعون.

الأجندة الإسرائيلية للمنطقة:

صحيح حرصت إسرائيل بدعم أمريكي أن تكـون القـوة العسـكرية الأكبـر في المنطقة بل وأن تحتكر الابتزاز النووي.

ولكن ماذا تفعل إسرائيل بالمعادلة الديمغرافية؟

حسب إحصاءات ٢٠٠٨م الوجود الفلسطيني كالآتي:

٢.٥ مليون يعيشون حالة مواطنة دونية داخل إسرائيل.

١.٥ مليون يعيشون في غزة في حالة حصار جعله لهم سجناً كبيراً.

٢.٥ مليون يعيشون في الضفة الغربية تحت وصاية الاحتلال.

٤.٥ لاجئ يعيشون في ظروف مزرية في الأردن وسوريا، ولبنان.

إن للفلسطينيين حقوقاً معترفاً بها دولياً وتحتمي إسرائيل من الضغوط الدوليـة بشأنهم بما تجده من دعم أمريكي.

ولكن هذا الموقف لا يمكن أن يستمر لما يمكن أن يـؤثر عليـه مـن تحـول في الرأي العام الغربي. ففي عام ٢٠٠٣م استطلع ٧٥٠٠ مـواطن أوربـي قـال ٥٩٪ منهم إن إسرائيل هي أكبر ما يهدد السلم العالمي.

***

وأشار رئيس أركان جيش إسرائيل موشي يعلون[١] لمقولة: إن قمع الشعب الفلسطيني بأكمله من شأنه أن يولد مزيداً من الروح النضالية.

وقال باراك[٢] رئيس وزراء إسرائيل السابق: إننا نواجه موقفاً خطيراً في إسرائيل: أن نمنح الفلسطينيين حقوق مواطنة كاملة فنقضي على يهودية الدولة. أو أن نحرمهم ونؤسس نظام أبارتايد كما في جنوب أفريقيا قديماً. المأساة يؤججها الموقف الحالي في إسرائيل على يد نتيناهو[٣] هي أنه:

- بسياسة الاستيطان قضى على جدوى حل الدولتين.
- وبتشدده لم يترك أية مساحة لاعتدال فلسطيني.
- وبالحرص على يهودية الدولة يعطي شرعية للدولة الدينية.

مع قوتها العسكرية والدعم الأمريكي الذي تحظى به فإن إسرائيل تشعر بخطر كبير على مصيرها ما جعلها تؤيد مصيراً للمنطقة العربية تتصور أنه يوفر لها حماية إستراتيجية.

هذه الأجندة الإسرائيلية للمنطقة وردت على لسان وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي آفي دختر[٤] في محاضرة في تل أبيب في يوليو ٢٠٠٨م على ضوئها نشرت مجلة القوات المسلحة الأمريكية على الإنترنت خارطة للشرق الأوسط الجديد على موقعها الإلكتروني مصحوبة بتقرير كتبه رالف بيترز الكولونيل السابق

(١) موشيه (بوغي) يعلون (ولد يونيو ١٩٥٠م): سياسي إسرائيلي من "حزب الليكود". شغل منصب: نائب رئيس الحكومة، ووزيرا للشؤون الإستراتيجية، رئيس هيئة الأركان العامة الـ١٧ لجيش الدفاع الإسرائيلي.

(٢) إيهود باراك (ولد ١٢ فبراير ١٩٤٢م): وزير الدفاع في إسرائيل (١٩٩٩- ٢٠٠١م).

(٣) بنيامين نتانياهو (ولد ٢١ أكتوبر ١٩٤٩ م): رئيس الحكومة الإسرائيلية.

(٤) آفي ديختر Avi Dichter (ولد ١٩٥٢م): سياسي إسرائيلي كان عضواً في الكنيست عن حزب كاديما شغل منصب رئيس الشاباك، ومناصب وزارية: وزير الأمن الإسرائيلي، ووزير الجبهة الداخلية.

بالجيش الأمريكي. وخلاصته:

أ. تقسيم العراق إلى ٣ دويلات: كردية في الشمال، وشيعية في الجنوب، وسنية في الوسط.

ب. تقسيم المملكة العربية السعودية إلى خمسة دويلات: شمال السعودية يضم للأردن (ليتوسع ويضم الفلسطينيين المهجرين) يضم الجزء الجنوبي لليمن، يضم الجزء الشرقي لدولة شيعية عربية، وتقام دولة على غرار الفاتيكان في الحجاز، الباقي يكون هو السعودية.

ج. تكوين دولة كردية بأجزاء من العراق، وإيران، وسوريا، وتركيا، وأزربيجان. أي كردستان الكبرى.

د. تكوين دولة عربية شيعية من البحرين، وشرق السعودية، وجنوب العراق أي عربستان.

ه. السودان يقسم إلى خمس دويلات: دارفور، جبال النوبة، الشرق، دولة الجنوب، السودان الشمالي.

و. استخراج دولة للأقباط في جنوب مصر.

ز. استخراج دولة للبربر في الجزائر.

السبب الموضوعي أن التقسيم الحالي لم يراعِ التباين المذهبي، والعرقي، لذلك نشأت المنازعات. أما السبب السياسي فإن مثل هذا التفكيك للمنطقة يحقق استقراراً إستراتيجياً لإسرائيل.

في هذه المسألة سوف يظهر تناقض بين إسرائيل والولايات المتحدة. لقد اتضح للولايات المتحدة أن تمزق الدولة الوطنية في المنطقة سوف يؤدي لدويلات متناحرة بعضها تحت قيادات إرهابية. لذلك الدولة الوطنية هي الأقدر على حفظ الأمن والسلام. أما إسرائيل فترى في هذا التفكك مصلحة إستراتيجية.

***

النصيب الدولي من «القصعة»:

في اجتماع قمة الناتو في ويلز في عام ٢٠١٤م تـداول الحاضرون أمـر المنطقـة العربية في شقيها المتشاطئ في البحر الأبيض المتوسط، والمتشاطئ في الخليج.

جاء في حيثيات الاجتماع أن هذه المنطقة تعاني من نظـم دكتاتوريـة لا تُحظـى بدعم الشعوب لحكوماتها وتنتشـر فيهـا عصـابات الجريمـة، والاتجـار بالبشـر، والمخدرات، والأنشطة الإرهابية.

وقـالوا: هـذه المنطقـة بـؤرة رمليـة متحركـة للنزاعـات العرقيـة، والدينيـة، والمذهبية، وللعنف والإرهاب الديني، وتتميز منظوماتها الحاكمـة بالابتعـاد عـن المعايير الديمقراطية، وانتهاكها المتواصل للحريـات السياسـية ومبـادئ حقـوق الإنسان وإنزال العنف على النساء، وعـلى الأقليـات العرقيـة والدينيـة فضـلاً عـن خضوع دولها لنظم دكتاتورية تظلم شعوبها وتحتكر الثروات الوطنية.

وفي ندوة عقدها المعهد الملكي للقوات المسلحة البريطانيـة رسـالة واضـحة من الناتو لسكان هذه المنطقة الموبوءة بالصراعات مفادها: إننا قـادمون. الشـكل المقترح لبلدان هـذه المنطقـة في شـاطئ البحـر الأبـيض المتوسـط، وفي شـاطئ الخليج هو إبرام علاقة تنظيمية مع حلف ناتو. هـذه العلاقـة حتمـاً غيـر متكافئـة فأهدافها سوف يحددها حلف الناتو، وما على البلدان المعنية إلا الاسـتجابة لأنهـا تحتاج للحماية.

إذَنْ العلاقة في حقيقتها وصاية ناتو على المنطقة. وصاية يبدو أن عناصر حاكمة في المنطقة ترحب بهـا. فالجامعـة العربيـة هـي التـي دعـت نـاتو لـدور في ليبيـا، والتحالف العسكري الحالي ضد الدولـة الإسـلامية بقيـادة نـاتو. وكـان كثيـرون يريدون أن تقوم الولايات المتحدة بدور عسـكري حاسـم في سـوريا. ومـا فعلتـه الولايات المتحدة في العراق كان بدعم عربي مشهود.

قيل إن التحالف بين ناتو ودول عربية سيطلق عليه لسـم (نـانو)، ولكـن مهمـا

كانت التسمية فإن هشاشة دول المنطقة هي المبرر الحقيقي لوصاية ناتو المنتظرة.

هذا التحالف يُرجى أن ترضى عنه تركيا باعتبار عضويتها في ناتو ويُنتظر أن تعارضه إيران، وسوف يلعب التنافس التركي الإيراني دوره، والنتيجة اقتسام النفوذ في المنطقة العربية.

نصيب الدولة الإسلامية في (القصعة)

القاعدة، وداعش، والدولة الإسلامية مبادرات تستخدم أحدث التكنولوجيا في الاتصال والتدريب والدعاية لإقامة دولة مضادة لمنطق الاجتهاد الإسلامي، ولمنطق التاريخ الإنساني باستخدام وسائل العنف المعنوي والمادي بأقصى صوره، وسوف تجد من ثلاثة عوامل تجاوباً موضوعياً هي:

- نفور كثير من شعوب المنطقة من الواقع الراهن واعتبارهم له واقعاً ظالماً يتطلعون لاستبداله.
- حجم خضوع كثير من حكام المنطقة لتبعية أجنبية مذلة.
- وجود حواضن دينية وثقافية في المنطقة لأطروحات «الدولة الإسلامية» فهي كأنما تنفذ في الواقع ما ينادي به آخرون من فقهاء وعوام في غرارة أنفسهم.

لا ينقذ الأمة العربية الإسلامية من أن تكون قصعة يتناوشها الطامعون بمن فيهم «الدولة الإسلامية» إلا مشروع نهضوي للتغيير البناء يهندسه المفكرون والعلماء ورجال ونساء الدولة في المنطقة، ويتجاوب معه الحكام أو يُطاح بهم لفتح الطريق للفجر العربي الجديد.

كان «الربيع العربي» ظاهرة انفجار بعد احتقان أسبابه:

الحكم عديم المشاركة، والمساءلة، والظلم الاجتماعي، والإخفاق التنموي والتبعية.

«الربيع العربي» في غالب مظاهره انتكس لثلاثة أسباب: طول عمر الطغيان جمد

الاجتهاد السياسي، فانعكس سلباً عـلى الحيويـة السياسـية. لـذلك كانـت القـوى السياسية غير مستعدة لتحمل المسئولية وتقديم البديل المجـدي. والـذين كـانوا أكثر استعداداً فاقت قدراتهم التنظيمية وعيهم السياسي.

وفي كثير من الأحوال كانت نتائج الربيع سيئة ما ساهم في اضطراب المنطقة.

نتائج «الربيع العربي» في الغالب سـاهمت في تعزيـز هشاشـة المنطقـة وتكـوين حالة القصعة. ولكن الوعي بهذه الحالة المزريـة والنفـور مـن أن تصـير المنطقـة مجرد غنائم لنهب الطامعين يرجى أن يرفع درجة الـوعي ويشـحذ العزيمـة نحـو التغيير البناء.

لقد قدمنا من البيانات ما يدحض تصنيف داعش وأخواتها بأنها مؤامرة.

إنها استجابة مارقة لعوامل داخلية وخارجية. ومع النفور المشروع مـن فكرهـا وأساليبها فإن لها دوراً تنبيهياً تاريخياً لنا.

التاريخ الاجتماعي لا يقبل الفراغ، فإذا غاب التقدم للأمام فسوف يحل محلـه التراجع للوراء.

إن غياب مشروع نهضـوي تقـدمي هـو أكبـر مسـاهمة في اسـتدعاء الحركـة إلى الوراء.



الباب السابع

خريطة الطريق للتغيير البناء

لم يكن «الربيع العربي» كما زعم بعض الكتاب مؤامرة. لقد كان تلبية لأشـواق حقيقية للحرية، والعدالة، والرخـاء، والكرامـة وإن حالـت ظـروف دون تحقيـق أهدافه كما تطلع إليها الثوار.

وليست داعش وأخواتها مؤامرة كما جـاء عـلى لسـان كثيـرين ومـنهم السـيدة فردريكـا مـوغيرين[1] مسـؤولة الاتحـاد الأوربـي للخارجيـة. قالـت في ٢٤/ ٦/ ٢٠١٥م: «أشك أن داعش مؤامرة ضد الإسلام نفسه وهي مخطط قـوي لشيطنة الإسلام وتبرير ضربه».

«الربيع العربي» وداعش أجندتان مختلفتان منطلقتـان مـن التمـرد عـلى واقـع واحد فقد جدواه وقدرته على الاستمرار، فصار يشد إليه أجندات الإطاحة بـالقفز إلى الأمام في حالة الربيع العربي. وبالقفز إلى الوراء في حالة داعش وأخواتها.

ولكي نحقق تغييراً بناءاً يزيل واقعاً فقد صلاحيته للبقاء ينبغي أن تشهد المنطقة يقظة فكرية، وصحوة دينية، ومعرفة عصرية.

ولكي أقدم اجتهاداً في هذا المجال ينبغي أن أقـدم للـرأي العـام المعنـي بهـذه القضية أوراق اعتمادي. إذ يحق أن يقـول لي قائـل إنـك كإمـام لحركـة مهديـة في السودان لست مؤهلاً للحـديث عـن بنـاء المسـتقبل لأن ارتباطـك بهـذا التـراث يجعلك جزءاً من المشكلة لا من الحل.

---

(١) فيديريكا موغيريني **Federica Mogherini** (ولدت يونيـو ١٩٧٣م): سياسـية و دبلوماسـية إيطالية، شغلت سابقا منصب وزيرة خارجية إيطاليا، وتشغل حالياً منصب الممثل الأعلى لسياسـة الأمن والشؤون الخارجية في الإتحاد الأوروبي.

نعم الفهم التقليدي لتراثي يجعله جزءاً من المشكلة لا من حلها.

أقول موضحاً:

التطلع لمخلص تطلع وارد في كل فرق الشيعة، فإن شخصاً غاب قبل ١٤ قرن لن يعود مرة أخرى فالوحي الثابت جاء فيه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1]. وهو تطلع وارد لدى السنة. لا فائدة في دعوة للخلاص يأتي صاحبها في آخر الزمان لأن ثوابت الوحي تقول: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[2].

وفي نصوص الوحي ما يعد بمعنى الخلاص. قال تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾[3] وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[4]. ومواصلة لأبحاثي غصت في الأقوال الصحيحة المنسوبة للإمام المهدي في السودان ووصلت للحقائق الآتية:

أولاً: إن دافعه الحقيقي للدعوة هو الغيرة على حرم الله. قال: «حيث أنه لم يبق من الإسلام إلا اسمه. ومن القرآن إلا رسمه حصلت الغيرة. وغيرة المؤمن على حرم الله أكبر من غيرته على حرمه».

ثانياً: وقال: «إني مأمور بإحياء الكتاب والسنة المقبورين حتى يستقيما».

ثالثاً: ولدى التضارب حول معاني أقواله وضع أساساً لغربلتها قائلا: «ما

(١) سورة الأنبياء الآيتان (٣٤، ٣٥).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٨).

(٣) سورة الأنعام الآية (٨٩).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

جاءكم منسوباً إليّ إذا وجدتموه مخالفاً للكتاب والسنة فاضربوا به عرض الحائط».

رابعاً: تخلى عن أية قدسية لاجتهادات البشر والتمذهب خارج مقتضى النصوص بقوله: «قولوا طريقتنا لا إله إلا الله ومذهبنا الكتاب والسنة. ما جاء من عند الله على رؤوسنا. وما جاء من عند النبي ﷺ على رقابنا. وما جاء من الصحابة إن شئنا عملنا به وإن شئنا تركناه».

خامساً: قال في أمر الثوابت الدينية: «إن أمرنا هذا تبع لا بدع».

سادساً: وفي أمر العادات والمعاملات قال: «لا تعرضوا لي بنصوصكم وعلومكم على المتقدمين. فلكل وقت ومقام حال. ولكل زمان وأوان رجال».

سابعاً: وكان أوثق ما جعله هداية روحية مناجاة لرب العالمين راتباً وجه بقراءته في أوقات الاستجابة بعد الفجر وقبل الغروب، ثم يقرأ بعده حزباً من القرآن مبيناً أن أوقات الاستجابة هذه هي: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [1]. هذا الراتب آية في التجرد لا يذكر فيه اسمه ولا مكانته فليست فيه ذاتية ولا طائفية بل خلاصة لتراث الإسلام الروحي يصلح أن يتخذه كل مؤمن نصاً لمناجاة روحية لا مثيل لها في التجرد والتواضع للذات الإلهية.

الراتب ثلثه آيات قرآنية مختارة، وفي غير الآيات أسلوبه مضمن للتعابير القرآنية. والنص فيه مناجاة عبودية لله، ومحبة لذاته، واتباع للنبي محمد ﷺ، لا يذكر فيه ولاء لشخص، ولا لجماعة، ولا يرد فيه طلب إلا المغفرة لقارئه، والخشوع في الصلوات، والشوق للقاء رب العالمين.

إنه نص مناجاة مستصحب لدعوات المرسلين، صالح ليناجي به أي مؤمن

---

(١) سورة ق الآية (٣٩).

دون إيجاب ولاية لشخص أو لجماعة. نصه تجسيد لعبقرية المناجاة.

ثامناً: نعم أسس دعوته على مخاطبة غيبية قائلاً: «المخاطبة النبوية تعتبر أمراً مفتوحاً لكل أهل الكشف» أي أنها من دروب الوصال الروحي المطروق للصالحين. هذه المعاني المتعلقة بقوله: «أخبرني النبي ﷺ» واردة في تراثنا الروحي كله، وإن أنكرها الظاهريون فقد أثبتها غيرهم. قال الإمام الغزالي[1] ا في كتابه «المنقذ من الضلال» متحدثاً عن الصالحين: «إنهم يصلون حالة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد». هذه المعاني أكدها السيوطي[2] في كتابه: «تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك».

أما إمامتي فهي لا تقوم على خطاب غيبي، ولا على تأهيل وراثي بل على أساس انتخابي. انتخاب لم أسع إليه بل فرضتها قاعدة الأنصار الشعبية في مؤتمر السقاي في ديسمبر عام ٢٠٠٢مم لحماية الإمامة من مؤامرة حاكها عملاء نظام الحكم في البلاد للإتيان بإمامة مدجنة. وقبلت هذا التكليف المؤسس على رأي الجماعة وأدخلت في رابطة الولاء الشورى، والنصيحة، والالتزام بحقوق الإنسان، فصار العهد فيها آية من التوفيق بين التأصيل والتحديث.

وفي هذا الصدد أوضح أننا في عوالمنا العربية، والإسلامية، والأفريقية، والآسيوية نعمل على التحديث في المؤسسات الجديدة كالأحزاب السياسية، والنقابات، وغيرها، ولكن نترك مؤسسات المجتمع التقليدي كما هي، فالمؤسسات الدينية التقليدية كالطرق الصوفية، والقبائل، والأسر تترك كما هي:

(١)أبو حامد الغزّالي، (٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م - ٥٠٥ هـ/ ١١١١م) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري. الملقب بحجة الإسلام، وأحد أشهر العلماء المسلمين.

(٢)جلال الدين السيوطي (٨٤٩ هـ/ ١٤٤٥ م- ٩١١ هـ/ ١٥٠٥ م)عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر بن محمد سابق الدين الخضيري الأسيوطي، من أبرز علماء المسلمين، كان موسوعي المعارف.

الطريقة يتوارث قيادتها أسر معينة، وكذلك القبائل. والأسر تقوم على أسس أبوية تسترق المرأة ولا تراعي حقوق الأطفال. إن استمرار هذه المؤسسات دون إصلاح يجعلها حوافظ (ثيرموس) للماضي الاجتماعي، تجر المجتمع كله إلى الوراء.

لقد استطعنا تطوير هيئة شؤون الأنصار لكي تقوم على المشاركة، والمساءلة، والشفافية. وتبنت هيئة شؤون الأنصار إصلاحاً يزيل كافة وسائل التمييز ضد المرأة، ويطور قانون الأحوال الشخصية على أسس متطورة. ويرجى أن يمتد هذا الإصلاح للتكوينات القبلية، والطرق الصوفية؛ اقتداء بما حققته هيئة شؤون الأنصار. هذه الثورة الهادئة ضرورية لتحريك المجتمعات التقليدية من التمترس في أنماط ماضوية معلبة.

قال لي بعض الناس: كيف تقبل الجمع بين رئاسة حزب الأمة وقد عارضت عمك الإمام الهادي المهدي[1] ألا يجمع بين الإمامة والقيادة السياسية؟ هذا غير صحيح. لقد كان الإمام الهادي إمام الأنصار والتقليد الذي تركه الإمام عبد الرحمن[2] هو أن إمام الأنصار هو راعي حزب الأمة. ومن ضوابط هذه الرعاية حسب منشور أصدره الإمام عبد الرحمن في سبتمبر عام ١٩٥٠م أنه: يوقف «أي تدخل بين علاقة حزب الأمة في قراراته وأعماله كحزب سياسي وعلاقته بالأنصار إلا فيما يتصل بالتأييد الشعبي للمبدأ» مكتفياً برئاسة خليفته للحزب في اتصالاته التنفيذية به، وبالدعم المالي للحزب على أن «تحدد أعماله السياسية منفرداً عن وكالات الأنصار في المراكز الخارجية . وتلغي المذكرة الأخيرة التي تخول لي

(١) الهادي عبد الرحمن المهدي (١٩١٨- ٣١ مارس ١٩٧٠م)، الإمام، إمام الأنصار خلفاً لأخية الصديق في أكتوبر ١٩٦١م، استشهد في حوادث الكرمك بعد ضرب الجزيرة أبا واستشهاد وجرح الآلاف.

(٢) عبد الرحمن المهدي (الإمام) (٢٥ يونيو ١٨٨٥م- ٢٤ مارس ١٩٥٩م- أول شوال ١٣٠٢هجرية- ١٥ رمضان ١٣٧٨هـ): مؤسس حزب الأمة وباعث المهدية وإمام الأنصار منذ ١٩٤٩م وحتى وفاته.

حق الرفض في قرارات الحزب».

والخلاف الذي وقع في حزب الأمة في عام ١٩٦٦م لم يكن في الأصل حـول أن يكون للإمام دور سياسي ولا بسبب خلاف بيني وبينه. بل كان الخلاف بين رئيس الوزراء الممثل للحزب في الحكومة والهيئة البرلمانية التي انتخبته.

كان النواب يمارسون حقهم في مساءلة رئيس الوزراء الذي انتخبوه ولكن بعـد فترة من التعامل فقد ثقتهم فهموا بسحب الثقة منه. أسباب سـحب النـواب للثقـة فيه مدونة في تقرير اللجنة الحزبية المكلفة بالوسـاطة وأهمهـا: أن رئـيس الـوزراء يعاملهم باستعلاء، وأنـه يهمـل مطالـب دوائـرهم الانتخابيـة، وأنـه يعتبـر نفسـه مفروضا عليهم لا مختار بإرادتهم. ولكن بدل الامتثال لرأيهم بمـا ينبغـي، ويقـدم استقالته قال لهم: أنا لست مسؤولاً أمامكم بل أمام الإمام. وكان موقفي المبـدئي داعماً لرأي الهيئة البرلمانية بأنها هي التي تنتخب رئيس الوزراء وتساءله.

لقد انتخبت مجدداً لرئاسة حزب الأمة في أبريل عام ٢٠٠٣م وانتخبت إماماً في ديسمبر ٢٠٠٢م ومهما كان تحفظي على ذلك فقد قبلـت رأي الجماعـة ومنذئـذٍ مارسـت صـلاحياتي بانضـباط شـديد مراعيـاً صـلاحيات أجهـزة حـزب الأمـة الدستورية بلا ادعاء صلاحيات إمامية في أمر الحزب (لقد أزيل الـنص في دسـتور الحزب عـلى أن يكـون إمـام الأنصـار راعيـاً لـه منـذ مـؤتمره العـام الخـامس في ١٩٨٦م)؛ ومراعيـاً صـلاحيات الإمامـة كمـا في الـدليل الأساسـي لهيئـة شـئون الأنصار. وأقول حقاً وصدقاً إنني التزمت المؤسسية وأقول إن كـل مـن خالفنـا لم يخالفني شخصياً فقد بذلتُ للجميع حقوقهم واحترامهم والمخالفون إنما خالفوا المؤسسات لذلك ذهبت مواقفهم (هَبَاءً مَّنثُورًا) ظلموا أنفسهم وظلمونا ولكـن لم نظلم منهم أحداً.

بعد هذه المرافعة عن أوراق اعتمادي أخوض في استحقاقات المستقبل البناء.

نحن ننتمي إلى تراث معين وافد من الماضي. وبعضـنا يقـف عنـد حـده يفسـر

قوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾[1] بـأن الحقيقـة الطبيعيـة والاجتماعيـة منصوص عليها في الكتاب، فما عدا ذلك من معارف الإنسان إما مطابقـة لمـا في الكتاب فلا حاجة لنا بها وإما مخالفة فهي باطل نرفضه. هذا فهم نقلي في التعامـل مع الوافد من الماضي.

آخرون قبلوا هذا الفهم للوافد من الماضي ورأوا أن الوافد من العصر الحديث كون الحضارة الحديثة الرائعة وما دام الوافد من ماضينا لا يقبلهـا فـنحن نـرفض ذلك الوافد من الماضي ونقبل على الوافد من العصر.

الفهم الأول معناه وفاء بلا مستقبل والفهم الثاني معناه مستقبل بلا وفاء.

في قصص التراث قصة عن مسيح دجال ينظر بعين واحدة إن صـورة الاعتمـاد على الوافد من الماضي وإلغاء الوافد من العصر نظر للواجـب بعـين واحـدة مثـل الاعتماد على الوافد من العصر وإلغاء الوافد من الماضي. الواجـب الصـحيح ألا ننظر بالعين الواحدة بل بالعينين. الواجب أن نحيط بالوافد من الماضـي اجتهـاداً وأن ندرك الوافد من العصر وأن نزاوج بينهما.

القراءة الصحيحة للوافد من الماضي:

قبل أن يتلقى الدين كان الإنسان.

إذن ينبغي أن نحدد صورة هذا الإنسان قبل أن تنزل عليه هداية الـدين. مـا هـو معنى الإنسانية؟

الإنسان كائن يشترك مع الكائنات الجمادية في قوانين الفيزياء، والكيمياء.

وهو كائن يشترك مع الكائنات الحيـة النباتيـة في أمـور كمـا في علـم النباتـات. ويشترك مع الكائنات الحية في قوانين كما في علم الحيوان «الزوولجي».

ولكن الإنسان مفارق لكل الكائنات الجمادية، والنباتية، والحيوانيـة بـل كافـة

---

(١) سورة الأنعام الآية (٣٨).

الكائنات في خمسة أشياء هي المبينة لمعنى الإنسانية وهي:

- أنه خص بأربعة مصادر معرفة هي: تأمل الغيب، العقل، الإلهام، والتجربة. تأمل الغيب يعني الوحي وهو البث الخفي وقد يكون لأنبياء عددهم لا يحصى وقد يكون لمرسلين وهم كثيرون. وقد يكون الوحي لغير هؤلاء من البشر على نحو ما جاء في القرآن: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾[١]. وقوله: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾[٢].
- الإلهام وهو استشعار فوق الحواس يفيد معارفاً.
- العقل وهو مستودع المعارف وميزانها.
- والتجربة وهي التي بمفرداتها تفيد معارف.

إن أية نظرية للمعرفة الإنسانية تنكر إحدى هذه الوسائل إنما تغمط وسائل المعرفة الإنسانية وتتحدث عن كائن دون قامة الإنسان.

ثانياً: القانون الأخلاقي مما يميز الإنسان. إنه بفطرته يلتزم بقانون أخلاق أعلى مقاييسه الإيثار، وأوسطها المعروف والمنكر، وأدناها المعاملة بالمثل.

ثالثاً: والإنسان وحده بين الكائنات يميز بين الخير والشر.

رابعاً: في التعامل بين الخير والشر نمى للإنسان ضمير.

خامساً: تفرد الإنسان بصفات محددة معناه أن تكون له حقوق.

هذه المعاني هي ما تعرف الإنسان. وأية نظرة تنكرها إنما تحط من قدر الإنسان وتتحدث عن كائن آخر ليس هو الإنسان.

إن ركود الفكر في ثقافتنا أدى لنشأة فكرويات تعطل دور الوحي والإلهام في

(١) سور القصص الآية (٧).
(٢) سورة المائدة الآية (١١١).

التكوين الإنساني معتمدة على العقل وحده. هذه فكرويات ناسوتية.

قال أبو العلاء:

لا إمـــام ســـوى العقـــل قـــائماً في صـــــبحه والمســـــاء

وأسس لنهج علماني قائلاً:

إن الشـــرائع ألقــت بعيننـــا إحنــاً وعلمتنـــا أفـــانين العـــداوات

فكرويات أخرى تعتمد على النقل وحده هذه فكرويات لاهوتية. وقيل:

العلــم مــا كــان فيــه قــال حــدثنا وما سوى ذاك وسواس الشياطين

اليقظة الفكرية الضرورية لنا هي أن ندرك معنى الإنسانية كـاملاً وأن نـدرك أن أي تعطيل لدور الوحي والإلهام يحط من قدر الإنسانية.

إن للفكر المادي والعلماني دورهما في حياة الإنسان، ولكـن إنكارهمـا للأبعـاد الروحية باطل.

أسوأ ما في الحياة ليس ما فيها من شقاء ولكن إذا صارت بلا معنى. ومعلوم أن الإنسان يجد إمكاناته مضاعفة إذا كان له إيمان.

كما أن لمعطيات الوحي والإلهـام دورهمـا في حيـاة الإنسـان ولكـن إنكارهمـا للأبعاد العقلية باطل.

إن فلاسفة المسلمين وفي القمة منهم ابن رشد. قالوا بالتوفيق بين هذه الـرؤى، مثلاً، كتابه: «فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال».

وفي القمة من فلاسفة العصر الحديث عمانويل كـانط[1] الـذي احـتج لصـحة الحقائق العقلية بكتابه «الحتميات الفاصلة». واحتج لحقيقة القيم التي لا تـدركها العقول بكتابه «الحتميات الواقعية». هذه هي اليقظـة الفكريـة التـي بـدونها يظـل

(١) عمانويل كانط: (٢٢ أبريل ١٧٢٤ - ١٢ فبراير ١٨٠٤م) آخر فلاسفة عهد التنوير العظام، يعتبر من أهم الفلاسفة الأوربيين. ألماني.

فكرنا يتخبط في الباطل وفي النظر بعين واحدة.

ولا يجدي الحديث عن تجديد الاجتهاد الديني ما لم يسبق ذلك يقظة فكرية تحدد معنى الإنسانية. فالدين للإنسان وليس الإنسان للدين فما لم نعرف ماهية الإنسان لا نستطيع أن نفهم ماهية الدين.

الصحوة الدينية:

تراثنا الديني نحن المسلمين يرتكز على: القرآن، السنة، السيرة، الفقه، والتاريخ.

القرآن: نص قطعي الورود ولكنه ليس كله قطعي الدلالة ففيه المحكم والمتشابه، وفيه الناسخ والمنسوخ، وفيه العام والخاص بظروفه. لذلك أوجب الله سبحانه وتعالى علينا التدبر في آياته بقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1]. وأشاد بـ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾[2].

إن للقرآن مئات التفاسير، ولكنها مع كثرتها وإخلاص أصحابها لا تلزمنا. فقد هيأت لنا التكنولوجيا الحديثة أن نحصل على نصوص كل التفاسير بصورة لم تتوافر لأجيال سابقة، ما يعني إمكانية أكبر للمقارنة والمقاربة. واستجدت معارف لم تكن متاحة لهم. لذلك علينا أن نحدد ماهية المقاصد الكلية وأن نفسر القرآن على ضوء تلك المقاصد.

مثلاً كانوا يعتقدون أن الذكورة والأنوثة متعلقة بغلبة ماء الرجل على المرأة أو المرأة على الرجل. وبذلك يفسرون الآية: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾[3]. المعرفة الحديثة تفسر هذه الآية تفسيراً صحيحاً وهو أن الذكورة

(١) سورة محمد (٢٤).

(٢) سورة الفرقان (٧٣).

(٣) سورة النجم الآيتان (٤٥، ٤٦).

والأنوثة من ماء الرجل. كذلك كان فهمهم الأرض مسطحة وأن الشمس تدور حولها وهي مفاهيم صححها العلم.

ومثلاً: من مقاصد الشريعة المساواة بين البشر كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (١). ولكن في القرآن ما يبيح العبودية. نبطل العبودية لأنها تتعارض مع مقاصد الشريعة في المساواة الإنسانية كما جاء في حديث النبي ﷺ: «لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَبْيَضَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَبْيَضَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ»(٢).

السنة: سجلت السنة في كتب الحديث بعد أكثر من قرن من وفاة النبي ﷺ، ودخلت في الأحاديث أحاديث كثيرة موضوعة ومتناقضة حتى في الكتب المعتمدة صحتها. مهما كانت صحة الأسانيد التي اجتهد في غربلتها علماء الحديث فثمة خمسة مقاييس تلزمنا لاعتماد صحة الحديث هي:

- ألا يتعارض مع نص القرآن.
- ألا يتعارض مع الواقع، مثلاً، حديث رواه البخاري(٣) يقول بقيام القيامة قياساً بعمر صبى كان مع جماعة سألوا النبى ﷺ عن الساعة: «عَنْ أَنس أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله ، مَتَى السَّاعَةُ قَائِمَةٌ ؟ قَالَ : وَيْلَكَ! وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا ؟ قَالَ : مَا أَعْدَدْتُ لَهَا إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ ، قَالَ : إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ . فَقُلْنَا: وَنَحْنُ كَذَلِكَ، قَالَ : نَعَمْ . فَفَرِحْنَا يَوْمَئِذٍ فَرَحًا شَدِيدًا . فَمَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ ، وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي، فَقَالَ: إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى

---

(١) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٢) سنن الترمذي.

(٣) البخاري (الإمام) (١٩٤ - ٢٥٦هـ/ ٨٠٩ - ٨٦٩م): محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بزدويه البخاري الجعفي، إمام أهل الحديث وصاحب "الجامع الصحيح" المعروف بصحيح البخاري.

تَقُومَ السَّاعَةُ[1]».

- ألا يتعارض مع حديث لاحق في الزمن. ما يوجب ترتيب الأحاديث حسب أزمانها لا حسب موضوعاتها.

- ألا يتعارض مع مقاصد الشريعة، مثلاً «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»[2] ولكن الدعوة للإسلام بالتي هي أحسن لا بالسيف.

- وأحاديث قد ينفر من معناه المسلمون لشذوذها. جاء في مسند أحمد، المجلد الثالث: قال النبي ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تَعْرِفُهُ قُلُوبُكُمْ وَتَلِينُ لَهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنكُمْ قَرِيبٌ فَأَنَا أَوْلاكُمْ بِهِ، وَإِذَا سَمِعْتُمُ الْحَدِيثَ عَنِّي تُنْكِرُهُ قُلُوبُكُمْ وَتَنْفِرُ مِنْهُ أَشْعَارُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ وَتَرَوْنَ أَنَّهُ مِنكُمْ بَعِيدٌ فَأَنَا أَبْعَدُكُمْ مِنْهُ».

مثلاً: حديث تلين له قلوبنا قوله: «بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا»[3]. وحديث تنفر منه قلوبنا: «لَوْ كُنْت آمِرًا لِأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْت الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»[4]. بل ما تلين له قلوبنا قوله: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَال»[5].

السيرة المحمدية: كتبت في سيرة النبي محمد ﷺ مئات الكتب وأكثرها يجاري سيرة أنبياء بني إسرائيل الدموية كما في التوراة ما يصور سيرة النبي محمد ﷺ بصورة مماثلة ويبرزها على أنها «مغازي» بينما المقياس الحقيقي للقتال في الإسلام هو ما ورد في الآية ١٣ من سورة التوبة. ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخْشَوْنَهُمْۚ فَٱللَّهُ

(١) رواه البخاري.
(٢) مسند بن حنبل.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) سن الترمذي.
(٥) سنن أبو داود.

﴿أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1].

وأكثر كتب السيرة تجاري بالسيرة المحمدية سيرة عيسى عليه السلام مع اختلاف جوهري في السيرتين: سيرة عيسى عليه السلام تقوم على المعجزة. بينما سيرة النبي ﷺ تقوم على البشرية ما يتطلب مراجعة السيرة لأنسنتها ما يؤكد عبقريتها في حيثياتها الإنسانية.

الفقه: الفقه الذي بين أيدينا اجتهاد عظيم وهو فيما يتعلق بالثوابت والشعائر يحافظ على قيمته لأنها ثوابت وهو التزم بمنطق صوري من قياس وإجماع حافظ على المقاصد.

ولكن كما قال ابن القيم[2] في «إعلام الموقعين»: تتغير الفتوى بتغير الزمان. والمكان، والحال. فيما يتعلق بالمعاملات والعادات الفقه الموروث لا يصلح والمطلوب فقه متجدد يراعي المستجدات وإلا كانت أحكامه مناقضة لمقاصد الشريعة.

فيما يتعلق بتطبيق الشريعة ينبغي إدراك أنه بالنسبة للمعاملات والعادات فالعقلانية، والنفعية، والضرورات الإنسانية والعدالة مرجعية. كذلك قواعد العلوم الإنسانية وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وعلم الآثار وكافة هذه العلوم التي يدركها العقل وتكشفها التجربة كالعلوم السياسية والاقتصادية.

وفيما يتعلق بالحدود فإنها تدرأ بالشبهات. إنها عقوبات تتطلب ظروفاً وقائية ما لم تتوافر كما يجب شبهة تتطلب العدول عنها وتطبيق العقوبات التعزيرية.

مفاهيم خاطئة للواجب الإسلامي:

(أ) **تطبيق الشريعة:** الشريعة في كل ما يتعلق بالثوابت أي التوحيد، والنبوة،

---

(١) سورة التوبة الآية (١٣).

(٢) ابن القيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، حيث يورد كلام ابن عقيل، ومناقشته لفقيه شافعي يقول "لا سياسة إلا ما وافق الشرع".

والمعاد، والأركان الخمسة مطبقة، فأهل القبلة جميعاً مسلمون وينبغي العدول عن فكرة أنهم في جاهلية.

﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1] نص متعلق بالتشريع وعبارة حكم في القرآن دائماً متعلقة بالتشريع والقضاء لا بولاية الأمر. هذا خطأ الخوارج كما قال الإمام علي: نعم ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[2] ولكنهم يقولون الإمرة لله! وهذا خطأ. وينطبق هذا على مقولة الحاكمية التي يتخذها سياسيون سلماً للسلطة باسم الله. أما مطلب تطبيق أحكام الشريعة فإنه يستوجب مراعاة عوامل كثيرة أهمها: مراعاة الواقع الحديث، ومراعاة الأولويات، ومراعاة حقوق غير المسلمين، فالأمر يتطلب اجتهاداً يراعي هذه الظروف ويلم بالواقع ويزاوج بينهما كما قال ابن القيم. أما القول بتطبيق الشريعة كأن المطلوب هو فتح كتب مرجعية وتطبيق ما جاء فيها فإنه يأتي بنتائج عكسية تتعارض مع مقاصد الشريعة.

وفي السودان رفع تطبيق الشريعة شعاراً في عهد النظام المايوي الانقلابي الاقصائي فوظفت أحكام جنائية لحماية نظام مخالف تماماً لمطالب الشريعة في الكرامة، والحرية، والعدالة. وعلى نفس المنوال كان شعار تطبيق الشريعة في عهد النظام الانقلابي الاقصائي الدموي الظالم الفاسد.

هاتان التجربتان رفعتا شعار تطبيق الشريعة لاكتساب شرعية لنظامين انقلابيين قاما على حنث اليمين، وطبقا أحكاماً شرعية لحماية نظامين يناقضان مقاصد الشريعة. والانقلاب العسكري نفسه خروج عن النهج الإسلامي كما قال الشيخ الألباني.

وكذلك فعل آخرون فجروا على شعار تطبيق الشريعة سمعة سيئة. ونفس هذا الحكم ينطبق على تطبيق الشريعة كما تمارسه طالبان. وعلى سنة هذا التطبيق تسير

(١) سور الأنعام الآية (٥٧).

(٢) سور الأنعام الآية (٥٧).

القاعدة، والدولة الإسلامية وكافة فروعها.

إن تطبيق الشريعة كما مارسه هؤلاء جميعاً مجرد من مراعاة الاجتهاد الجديد الذي يتطلبه تغير الزمان والمكان والحال. وأسوأ من ذلك فإنه تطبيق يقوم على التغلب لا على الشورى، ويغيب مقاصد الشريعة في كرامة الإنسان، والعدالة، والحرية.

لو فكر أعداء الإسلام في أمر يسيء للإسلام لما وجدوا خطة أفضل مما فعل هؤلاء بالشعار الإسلامي.

(ب)**الجهاد**: ادعاء الجهاد أكبر مدخل للإساءة للإسلام ويتطلب فقه الجهاد بياناً واضحاً لمعناه لحمايته من المتطفلين عليه:

- الجهاد أوسع من القتال ويبدأ بالنفس لتزكيتها وثم بالعمل بكل الوسائل لإعلاء كلمة الله. ولا يوجب القتال إلا دفاعاً عن النفس وعن حرية العقيدة.
- والقتال في الإسلام لا يجوز إلا تلبية لنداء قيادة شرعية. وهو حينئذ يلتزم بضوابط أخلاقية صارمة فلا يستهدف غير المقاتلين في صفوف العدو.
- مقولة إن آية السيف قد نسخت كل آيات التسامح في القرآن مقولة باطلة.

آية السيف هي الآية الخامسة من التوبة. جاء فيها: ﴿ فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

هذه الآية سبقتها آية هي الرابعة تستثنى المعاهدين. وأعقبتها آية السادسة تأذن باستجارة المشركين. الحقيقة أن القتال المأذون به في الإسلام هو قوله تعالى: ﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

(١) سورة التوبة الآية (٥).

(٢) سورة التوبة الآية (١٣).

علينا أن نراجع فقه الجهاد ونقفل الباب أمام أصحاب الهوى السياسي الذين يعلنون الجهاد بلا قواعده.

أعلن حزب في السودان أثناء الحكم الديمقراطي تطبيق الشريعة في ظرف كذا يوم من الأيام وإلا إعلان الجهاد! وأعلن آخرون جهاداً عالمياً على كل الأمريكان قتالاً فرض عين على كل مسلم.

جهاد من أكثر العبارات التي يستخدمها أصحاب الهوى السياسي والحقيقة: الجهاد يتعلق بجهاد النفس، وببذل الجهد لدعوة الحق بالتي هي أحسن، ولا يصير قتالاً إلا دفاعاً عن النفس أو عن حرية العقيدة، وعندئذٍ يلتزم الجهاد بضوابط أخلاقية لا تستهدف غير المقاتلين. ولا يصير مشروعاً إلا إذا أعلنته ولاية ذات شرعية مستمدة من الشورى في مناخ يكفل الحرية والعدالة لأن الشورى وآليتها الديمقراطية لا تصح إلا إذا توافرت الحرية والعدالة.

قراءة تصحيحية للفرق الإسلامية:

أهم الفرق الإسلامية اليوم هم: السنة، الشيعة، الصوفية.

إن لهذه الفرق جميعاً منطلقات إسلامية صائبة، ولكن زادت عليها عقائد مذهبية جعلتها في حالة احتراب لفظي دائم يتطرف ويتسلح بالعنف.

الاختلاف بين فرق المسلمين نما وتفرع لمدة أكثر من ألف عام وقد تجدد في أيامنا هذه. إنه اختلاف لا يمكن أن يحسم بالقوة. ولا يمكن أن يحسم بالحوار. ونحن أمام أن نتركه يزداد ويصير وقوداً لحروب أهلية مستمرة داخل أقطارنا وفيما بينهما وبالتالي يمزقها ويفتح مجالات واسعة للأعداء لاستغلالها. أو أن نلحق أنفسنا ونقيم علاقات توفيقية بيننا.

إن المشاركة في اليقظة الفكرية مهمة ينبغي أن تقوم بها كل الفرق الإسلامية لأنها جميعاً تعاني من عيوب الانكفاء الفكري والديني الذي يتطلب اليقظة على الأسس المبينة ههنا.

ولكن هنالك مراجعات أساسية ينبغي أن تجريها الفرق لإزالة الفرقة المـدمرة التي تعيشها الفرق الإسلامية اليوم:

(أ) **أهل السنة**: مفهوم أن السنة هي الالتزام بسنة النبي محمد ﷺ ينطبق عـلى كل أهل القبلة ولكن العبارة الآن تطورت في اتجاه مذهبي يتحزب لصحابة النبـي محمد ﷺ ويواجه مآخذ الشيعة عليهم. نعـم للصـحابة مكانـة مميـزة في الـدعوة الإسـلامية وقـد امتـدحهم القـرآن: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[1]

ولكنهم بشر وتقليدهم ليس واجباً دينياً، ونقد تصرفات من أخطأ مـنهم لـيس حراماً. والتسنن اتخذ شكلاً إقصائياً يكفر الشيعة باعتبـارهم روافـض. هـذا غلـو فمن يؤمن بالتوحيد، وبالنبوة، والمعاد، والأركان الخمسة مسلم يحرم تكفيره وما بين المسلمين من خلافات حول تفاصيل أخرى وارد، وأمره لله. هذا ما يقـول بـه عقلاء أهل السـنة. قـال تعـالى: ﴿ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[2] وهذا المعنى وارد في أكثر من آية.

(ب) **الشيعة**: مفهوم أن الشيعة هم أشياع آل بيـت النبـي محمـد ﷺ، وحـبهم ينطبق كل المسلمين فلا أحد ينكر كذلك مكانة الإمام علي الخاصة عـلى نحـو مـا قال النبي محمد عنه في غدير خم: «مَنْ كُنْتُ مَـوْلَاهُ فَعَلِـيٌّ مَـوْلَاهُ اللَّهُـمَّ وَالِ مَـنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ»[3]. ونحن جميعاً نصـلي عـلى النبـي محمـد وآلـه في تحيـات الصلاة. ولكن الشيعة جعلوا الإمامة وعصمة الأئمة من أركان الدين، واعتقدوا في تسلسل الإمامة بعد الإمام الحسين في ذريته إلى الإمام الثاني عشر. واعتبروا مـن لا يؤمن بالإمامة بهذا الفهم من النواصب وكفروهم. أئمة الشيعة بشر والاعتراف بهم

(١) سورة التوبة الآية (١٠٠).

(٢) سورة آل عمران الآية (٥٥).

(٣) مسند بن حنبل.

وطاعتهم ليست واجباً دينياً. الواجب أن نقف عند ما يجمع بين أهل القبلة من عقائد وأن نعتبر الزيادات مذهبية تلزم أصحابها لا غيرهم على أن نمسك عن تكفير من لا يؤمن بتلك الزيادات وأن نفوض أمرها لله.

علينا في الحالين السنة والشيعة أن نتحد فيما يجمع بيننا وأن نمسك عن تكفير بعضنا بل نعترف ببعضنا الآخر، وأن نحاور بعضنا الآخر فيما نختلف فيه بالتي هي أحسن. وأن نلتزم باحترام الصحابة وآل بيت النبي ﷺ دون أن يعني هذا ألا نمارس نقداً موضوعياً لهم فهم بشر وابن آدم خطأؤون، فإن كان القرآن يعتب على النبي محمد ﷺ نفسه مآخذ، فلا غرو أن نأخذ على معاوية أخذ البيعة قسراً لابنه يزيد أو أن نأخذ على الحسن بيعته لمعاوية.

هذا التعايش بيننا حول العقائد لا يمنع استمرار الاختلاف حول أحداث التاريخ على ألا نجعلها مقدسات بل أحداث تاريخية وارد فيها اختلاف الروايات فهي خلافات بين بشر وارد في حقهم الخطأ والصواب، المهم أن تلك الأحداث لا يترتب عليها عقائد والله يفصل بيننا فيما اختلفنا فيه، ولكننا في هذه الحياة لا نجعلها سبباً في الإدانة والإقصاء. أي لا نجعل الاختلاف حول أحداث التاريخ أساساً للإدانات المتبادلة والإقصاء بيننا الآن.

كذلك ينبغي ألا نتخذ الخلافات في المذاهب الفقهية سبباً للتنافر بل نعترف بمذهبهم الفقهي الجعفري ويعترفون بمذاهب أهل السنة فهي اختلافات في تفاصيل لا تلزم إلا أصحابها.

(ج) **التصوف**: التصوف يعني بالجذور الروحية لمبادئ الإسلام وتعاليمه وله أصل في الإسلام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ ﴾[1]. هذا المعنى الذي يجعل لهؤلاء كسباً روحياً عبر عنه الصوفي:

(١) سورة الحديد الآية (٢٨).

قلـوبُ العاشـقينَ لهـا عيـونٌ تَـرى　　مـــا لا يَـــراهُ الناظرونـــا
وأجنحـــةٌ تطيـــرُ بغيـــرِ خفـــقٍ　　إلـــى ملكـــوتِ ربِّ العالمينـــا

هذا التمكين الروحي جعل قلوبهم مطمئنة بذكر الله وحيثما واجه المسلمون محنة على أيدي حكام طغاة فإنهم وجدوا موئلاً في زوايا الصوفية كما حدث في أثناء السيطرة السوفيتية على آسيا الوسطى المسلمة، وكما حدث أثناء حكم مصطفى كمال في تركيا، كذلك استطاعت طرق صوفية أن تقوم بالدعوة الناجحة السلمية للإسلام وبذلك نشروا الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، وفي جنوب شرقي آسيا.

ولكن لأن التصوف فيه درجة من الحرية الذاتية استصحب بعض أعلام التصوف:

- فلسفات استشراقية مثل وحدة الوجود كما قيل:

وفِـــي كـــلِّ شـــيءٍ لَـــهُ آيـــةٌ　　تَـــدُلّ علـــى أنّـــهُ عينـــه

بعض المتصوفة أولوا قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [(١)] أنه لا موجود في الحقيقة إلا لله وهو التأويل الذي بموجبه قال الحلاج ما في الجبة إلا الله ففهم منه من لا يقبلون هذا التأويل أنه أدعى الألوهية. فكانت مأساة الحلاج.

كما سمحت تلك الحرية الذاتية لبعض المعتقدات الشعبية أن تتسرب إلى ممارسات بعض الصوفيين. ما جلب لهم شجباً على أيدي بعض الفقهاء كما روت «طبقات ود ضيف الله» السوداني والخلاف الذي دب بين القاضي دشين[(٢)] والشيخ الهميم[(٣)].

(١) سورة الحديد الآية (٣).

(٢) محمد بن مدني بن دشين، قاضي العدالة العالم الشافعي في عهد مملكة الفونج في مدينة أربجي، عالم أربجي وخطيبها وقاضيها.

(٣) محمد الهميم، الشيخ، جاء في كتاب الطبقات لمحمد بن ضيف الله أنه لم يكن يلتزم بالأربعة في الزواج فزادهن، وجمع بين الاختين إذ تزوج بنتي أبو ندودة الاثنتين في رفاعة، وجمع بين بنتي الشيخ بان النقا الضرير كلثوم وخادم الله. وحينما حضر لصلاة الجمعة بأربجي حدثت مشادة بينه وبين القاضي دشين.

ولكن هذه المآخذ لا تسلب التصوف من حصيلة بعض العارفين على نحو ما حكى ابن سينا(١) لدى لقائه مع أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي(٢) وبعد ثلاثة أيام من المحاورة سئل ابن سينا عما كان بينهما فقال: «تذاكرنا بثلاثة أيام واتضح لي أن ما أعرفه يراه وما يراه أعرفه». إشارة لدربي الحقيقة: الدرب العقلاني والدرب الإلهامي.

وإذا استبعدنا مقولات بعض السطحيين نجد عند أئمة الاجتهاد تقديراً للأبعاد الصوفية على نحو مقولة الإمام مالك(٣): «من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق. ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق. ومن جمع بينهما لقد تحقق».

وقال الإمام الشافعي(٤):

فقيهاً وصوفياً فكن ليس واحداً ... فإني وحق الله إياك انصح
فذلك قاس لم يذق قلبه تقى ... وهذا جهول كيف ذو الجهل

والمعنى في مقولة الإمامين أن التفقه والتصوف يتكاملان ولا يتعارضان.

بين هذه الفرق الإسلامية ذات التأييد الواسع في جسم الأمة الإسلامية حرب

(١) ابن سينا (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م- ٤٢٧هـ/ ١٠٣٧م) أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، عالم وطبيب مسلم من بخارى اشتهر بالطب والفلسفة. لقب بـ«الشيخ الرئيس»، وسماه الغربيون أمير الأطباء وأبو الطب الحديث. وأشهر أعماله «كتاب الشفاء» وكتاب «القانون في الطب».

(٢) أبي سعيد بن أبي الخير الصوفي (٩٦٧- ١٠٤٩م): شاعر وصوفي فارسي، أول من وضع أسس التصوف وأنشأ فكرة المدارس والخانقاهات (مكان ينقطع فيه المتصوفة وأهل الخير إلى العبادة) والرتب الصوفية.

(٣) الإمام مالك (٩٣- ١٧٩هـ/ ٧١٢- ٧٩٥م): هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر. إمام المدينة. من أبرز أئمة الحديث، ألف أول كتاب في الفقه الإسلامي هو (الموطأ)، من الأئمة الأربعة.

(٤) الشافعي (١٥٠- ٢٠٤هـ/ ٧٦٧- ٨١٩م): هو محمد بن إدريس العباسي بن عثمان بن شافع بن السائب القرشي بن عبد المطلب بن مناف، ولد في غزة ونشأ في مكة، وانتقل إلى مصر، من الأئمة الأربعة.

كلامية مستمرة وأحياناً قتالية، وفي استمرارها شلل للأمة لا سيما ما يتخللها من تكفير متبادل.

الواجب أن ننبري لهذا التراث بالتنقية، والتنقيح،والغربلة.

قراءة في التاريخ: من أكبر العيوب أن يتعامل مع تاريخ الأمة وهو تاريخ بشري باعتباره مقدساً.

اليقظة الفكرية توجب نزع التقديس عن كل تاريخنا بدءاً من عهد الخلفاء الراشدين وما بعدهم. الخلفاء والصحابة وكافة صناع تاريخ أمتنا بشر وارد في أدائهم الصواب والخطأ وقد وقع منهم صواب وخطأ.

علينا أن نعيد قراءة التاريخ مزودين بكل المعارف العلمية التي اكتسبناها لكي نكتب تاريخاً بشرياً على أسس موضوعية ميزته في بشريته لأنه حينئذ يصلح للقدوة والاعتبار، لأن تقديسه يخفي حقائقه وبالتالي يمنعه أن يكون قدوة لنا وللأجيال اللاحقة.

الكتابة الموضوعية لتاريخ الأمة تجعله أهلاً للقدوة والاعتبار: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(1).

استحدثت الإنسانية وسائل دارسة، وإعلام لم يعهدها الماضي. هذه كلها ينبغي استخدامها في الدراسة والإعلام.

لقد تحرج بعضنا في استخدام السينما وهي من أقوى وسائل الإعلام لتصوير الأنبياء والصحابة. الأنبياء والصحابة بشر ينطبق عليهم ما ينطبق على البشر. التمنع في هذا المجال تورع في غير محله فنحن في الكتب نسهب في أوصاف الأنبياء والصحابة بلا حرج نصف وجوههم، وألوانهم، وأبدانهم فلا حرج في التمثيل

(1) سورة يوسف الآية (111).

والحرج الوحيد هو ألا يساء إليهم.

الحركية الإسلامية:

الحركية الإسلامية تفترض أن المجتمعات الإسلامية الحالية فاسقة أو كـافرة، أو معطلة للشريعة، وهي في كل هذه الحالات تتطلب تحركـاً إسـلامياً لأسـلمتها. أهم وجوه الحركية الإسلامية: الحركة السلفية، والحركة الأخوانية، ولاية الفقيـه في المجال الشيعي.

السلفية:

أول مقولة لتأسيس فكرة السلفية هي مقولة: « مَا لَمْ يَعْرِفْهُ الْبَدْرِيُّونَ فَلَيْسَ مِـنَ الدِّينِ»[1].

- الله هو المعبود وأي نوع من إسناد الإرادة لغيره شرك لـذلك الاعتقـاد في الصالحين من نفع وضر فهو شرك.

- كل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظـاهرة المتـواترة تقاتل حتى يلتزموا شرائعه وإن كانوا ناطقين بالشهادتين وملتزمين بعـض شـرائعه كما قال ابن تيمية.

- الولاء والبراء يوجب الولاء لمن يؤمن بعقيدة السلف والبراء من غيـرهم ما يعني البراء من كل أصحاب الملل الأخرى على أساس قولـه تعـالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[2].

- أما الإمامة أي الحكم فقد قال عنه الإمام أحمد بـن حنبـل: «ومـن غلـبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يـؤمن بـالله واليـوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً عليه براً كان أو فاجراً».

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

(٢) سورة البقرة الآية (١٢٠).

- النظم السياسية الحديثة من أحـزاب سياسـية ومفـاهيم ديمقراطيـة نظـم كافرة.

السلفية بهذا الفهم تعني:

أولا: المساواة بين الثابت والمتحرك في تعاليم وأحكام الإسلام، وهـذا معنـاه منع حركة المجتمع وتقييده على ما كان عليه الصحابة لأن ما عداه بدع.

ثانياً: اعتبار دعاة السلفية أنفسهم الفرقة الناجية وتكفير ما عداهم.

ثالثاً: تحريم أية اتجاهات لاستصحاب النظم الاجتماعيـة الحديثـة باعتبارهـا بدع كافرة.

رابعاً: قفل باب أية علاقة غير صدامية مع غير المسلمين.

خامسـاً: تكفيـر فـرق المسـلمين الأخـرى مـن شـيعة وصـوفية وأهـل سـنة كالأشاعرة[1] - مثلاً- لا يؤمنون بما يقول به السلفيون.

سادساً: اعتبار المجتمع الآخر كافراً واستباحة قتالـه بمـا يفـتح البـاب واسـعاً للإرعاب «الإرهاب».

لا يمكن أن نحقق سلاماً اجتماعياً واستقراراً في المجتمعات المسلمة ما لم يجر السلفيون بكل مدارسهم مراجعات أساسية فيهـا حصـر السـلفية في الثوابـت مـن الشعائر أما في العادات والمعاملات فالمقولة الصحيحة هي مقولة الفقيه الزيلعـي الحنفي[2]: إن الأحكام تختلف باختلاف الأزمان.

المطلوب بسرعة أن يجري الفكر السلفي مراجعات أساسية تحصر السلفية في

(١) **الأشاعرة:** فرقة كلامية إسلامية، تنسب لأبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة. من كبـار أئمتها: البيهقي والنووي والغزالي والعز بن عبـد السـلام والسـيوطي وابـن عسـاكر وابـن حجـر العسقلاني والقرطبي والسبكي.

(٢) **يوسف الزيلعي** (٧٦٢هـ ــ ١٣٦٠م) الحافظ، الإمام، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف.

الثوابت وتفتح الطريق أمام اليقظة الفكرية المشار إليها ليساهم السلفيون في بناء الأمة.

ولكن استمرارهم على العقائد الراهنة يعني الاقتتال الطائفي المستمر. كما يعني الحرب المستمرة مع غير أهل الولاء لاعتقادهم.

انطلاقاً من الفهم السلفي تكونت حركات السلفية الجهادية. وانطلاقاً منها تكونت القاعدة ولا يمكن التصدي لهذه الفروع ما لم تخاطب الأفكار الأصلية.

هذه التحديات تتطلب عقد مؤتمر جامع للسلفية لمراجعة معطياتها وإلا بقيت زاداً للتطرف والعنف المصاحب له.

الحركية الأخوانية:

لقد ذكرنا كيف تسلسل الفكر السلفي، كما ذكرنا كيف تناسل الفكر الأخواني.

كلاهما أي الحركة السلفية، والحركة الأخوانية، قاما بدور مهم في الحث على التزام شعائر الإسلام، كما حققا برامج دعوة لجادة الدين، ودوراً مهماً في التمدد في مجالات توفير الخدمات الاجتماعية خاصة في المجالات التي قصرت الحكومات عن القيام بها.

لقد صار للحركات ذات المرجعية الاخوانية تجارب في السلطة أوجبت أن تجرى مراجعات أساسية على ضوئها.

أقول لا ينكر للحركة الأخوانية أنها قامت بدور مهم خلاصته:

أولاً: الرد على من أنكر أن يكون للدين دور في الحياة العامة.

ثانياً: دخول مجال العمل السياسي بشكل تنظيمي قاعدي لا يكتفي بالتنظيمات الفوقية.

ثالثاً: الاهتمام بالعلاقات فوق القطرية على نطاق الأمة.

رابعاً: الاهتمام بالدعوة في أوساط القوى الاجتماعية الحديثة.

خامساً: استصحاب الحداثة دون تبعية للآخر الدولي.

ولكن التجربة ذات المرجعية الأخوانية في السودان ومصر سقطت في العيـوب الآتية:

أولاً: إعلاء شأن السيطرة السياسية على أساس نهج الحاكميـة باعتبـاره الـركن الأهم في التوجه الإسلامي.

ثانياً: الحرص على التمكين في ممارسة السلطة على حساب ما تتطلبه التعددية.

ثالثاً: إعلاء شأن التنظيم فوق التربيـة، وفي التجربـة السـودانية تجـاوز التنظـيم نفسه للإدارة الأمنجية.

رابعاً: عدم الاهتمام بمتطلبات الحلقة الوطنية والحلقة القومية.

خامساً: الإسراف في استخدام أساليب القهر والتعـذيب في السـلطة والإسـراع باللجوء للعنف في المعارضة.

سادساً: الخلط بين الإستراتيجية والتكتيك وإعـلاء شـأن المنـاورة بصـورة لا تليق بدعوة ذات التزام أخلاقي. مـثلاً: الخدعـة الكبيـرة التـي مارسـها انقـلاب الجبهة الإسلامية القومية في السودان في يونيو ١٩٨٩م ليذهب أمينها العام للسجن حبيساً، وقائد الانقلاب العسكري التـابع للتنظـيم للقصـر رئيسـاً، لإخفـاء هويـة الانقلاب، بل وكانوا يقسمون على المصحف ألا علاقة بين التنظيم والانقلاب!

سـابعاً: عـدم المصـداقية في قبـول منظومـة حقـوق الإنسـان والالتـزام بالديمقراطية.

إن ما حدث في مصر منذ ٣ يوليو ٢٠١٤م يتطلب أن يراعـي الطرفـان في مصـر مراجعات، فالسلطة ينبغي أن تعترف بالحاجة لتحقيق موضوعي عما اتخذت من إجراءات عنف لقمع الأخوان. فالسلطة التـي اعتمـدت عـلى غضـبة شـعبية ضـد الأخوان اعتبرت كل أخواني إرهابي وهذا غير صحيح ففي داخل الأخوان تيارات

أهمها تيار هضيبي وآخر قطبي. وهما على اختلاف مهم بينهما لا يتطابقان مع القاعدة، وداعش، وأخواتهما. والحوادث التي ألصقت بالأخوان اعترف بها غيرهم دون إجراء تحقيقات لمعرفة الحقيقة.

في عهد الرئيس المصري السابق أنور السادات استعان بالأخوان وغيرهم للبطش بناصريين ويساريين. هؤلاء الآن يستقلون الحملة ضد الأخوان انتقاماً.

فكرة عودة الأخوان للسلطة على أنقاض النظام الحاكم حالياً باطلة. وفكرة اجتثاث الأخوان كذلك مستحيلة. ترك الشأن المصري للمساجلة بين العودة والاجتثاث تعمق الانقسام في مصر ويمكن أن تخطو نحو حرب أهلية يراهن عليها أعداء مصر.

الحركات ذات المرجعية الأخوانية في كثير من البلدان راجعت مواقفها وقبلت استحقاقات الانخراط في العمل السياسي. هذا ما فعله حزب النهضة في تونس فإنهم بعد أن حصلوا على شرعية انتخابية حرصوا على ممارسة شرعية توافقية. وكذلك كان موقف حزب العدالة والتنمية في المغرب فقد أدرك أن هناك واقع: دولة عميقة، ومجتمع عميق، ونظام دولي عميق فأخذ هذا الواقع في الحسبان. إنه توفيق بين الواجب والواقع يعتبره العقلاء من مقاصد الشريعة.

ولم يندفع هؤلاء في اتجاه أحادي لتطبيق الأحكام الشرعية بل أدركوا أن كل أحكام الشريعة مرتبطة في تطبيقها بالوسع الاجتماعي. بل هناك قاعدة من مقاصد الشريعة وهي: الطاعة قدر الوسع وهي مستمدة من الآية: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[1].

وهنالك تجربة الحزب أخواني المرجعية في أندونيسيا. أندونيسيا حققت نجاحاً باهراً ومع شدة التنوع فيها إذ تتكون البلاد من ٦ ألف جزيرة مأهولة و ١٠ ألف جزيرة غير مأهولة فإنها حققت طفرة تنموية ووحدة وطنية على أساس مبادئ خمسة جمعت بين الإيمان بالله والوحدة الوطنية من خلال التنوع. الحزب أخواني

(١) سورة التغابن الآية (١٦).

المرجعية هناك ساهم في التجربة وعززها.

والتجربة التركية فيها تعرض الحزب أخواني المرجعية للحل أربع مرات دون أن يلجأ للعنف.

إذن لا التمكين، والبطش بالآخر، والانقلاب العسكري كما في التجربة السودانية، ولا المغالبة، والتنصل من الاستحقاقات الدستورية، ثم اللجوء للعنف في المعارضة كما في التجربة المصرية سلوكيات حتمية في تصرفات أحزب المرجعية الأخوانية.

لذا يرجى أن تتنادى الحركات ذات المرجعية الأخوانية لمؤتمر جامع لتقييم تجاربهم ومراجعة الأخطاء والالتزام باتفاق يستنهض الشعوب ببناء إسلامي يقوم على اجتهاد جديد لبيان الواجب، وإحاطة واعية بالواقع، والتزاوج بينهما على أن هذا نفسه اجتهاد بشري لا يمنح صاحبه ادعاء التحدث باسم الله إنما هو اجتهاد بشري ينسب لأصحابه.

نهى النبي محمد ﷺ أحد قادته إذا استسلم أهل حصن أن ينزلهم على حكم الله أو على حكم رسوله، بل على حكمه هو أي حكم اجتهادي، لا قرار ثيوقراطي. لذلك لا يحق لأحد أن يتحدث نيابة عن الله بل يجتهد وما يصدره بعد الاجتهاد ينسب لاجتهاده البشري.

التأصيل الوطني:

كل الكائنات تحرص على فضاء خاص بها. هذا الشعور فطري.

ومع أن الأمة الإسلامية كانت لا تعرف الانتماء الوطني فإنها مع الزمن تفرقت بداية لخلافة أموية تنافسها خلافة عباسية ثم نمت في الجسم الإسلامي سلطنات متعايشة عثمانية، وصفوية، ومغولية، ثم تعرضت أقاليم الأمة للاحتلال الأجنبي. وبعد الاحتلال الأجنبي ونتائج الحروب برزت كيانات وطنية صار لسكانها ولاء وصارت هي وحدات العضوية في النظام الدولي.

الشعور الوطني ليس غريباً على المفاهيم الإسلامية: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[(١)].

الإخراج من الديار يشير لهذا الشعور الوطني. والوحدات الوطنية أوسع من الانتماء القبلي ويمكن أن توفر إدارة أفضل للجماعة، وآلية أفضل لحفظ الأمن، ووحدة أفضل لتوفير المعيشة، وهي إن صارت ضرورية للقيام بهذه المهام فإنها ليست كافية لأن هنالك انتماءاً قومياً كما للعرب يتجاوز الحدود القطرية. وانتماء للأمة الإسلامية، وانتماء للنظام الدولي الجماعي.

في الظروف المعاصرة، الوطنية وحدة إنتماء مطلوب ويوجب ولاءاً وطنياً يجمع سكانه في كيان وطني واحد وينبغي ألا تحجبه العصبية من حلقة أوسع، هي حلقة القومية، ولا حلقة أوسع هي حلقة الأمة، ولا حلقة كونية جامعة كالأمم المتحدة.

إن للوطنية استحقاقات هي المساواة في المواطنة رغم تنوع هويات السكان. هذا الفهم للوطنية أي التي تكفل حقوق مواطنة متساوية لسكانها ولا تتناقض مع حلقات الانتماء الأوسع هو الفهم للتأصيل الوطني.

التأصيل القومي:

التنوع القومي من حقائق العالم فللعرب، وللأتراك، وللفرس، وغيرهم انتماءاتهم القومية.

العربية ثقافة ولسان، وعلى طول التاريخ تمددت من مركز محدود إلى عالم عريض كما قال النبي محمد ﷺ: «مَنْ تَكَلَّمَ بِالْعَرَبِيَّةِ فَهُوَ عَرَبِيٌّ»[(٢)]. ولكن هنالك قوميات ذات ثقافات غير عربية كالأكراد، والامازيق، والنوبة، والزنوج، والبجا،

---

(١) سورة الممتحنة الآية (٨).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر.

والنوباويين، وغيرهم يتعايشون مع العرب. وهنالك عرب يعيشون في بلدان أكثريتها غير عربية كالفرس والأتراك وغيرهم.

على قوميات الأكثرية الاعتراف بقوميات وثقافات المجموعات القومية الأخرى.

الوحدة الوطنية تستوجب المساواة في المواطنة، والوحدة القومية تستجوب الاعتراف بهويات الآخرين، ومهما كانت الأعداد العربية كبيرة فإن القوميات الأخرى تتطلع لاحترام هويتها القومية، احترام صار الآن جزءاً من حقوق الإنسان.

إن للقومية دوراً مهماً في بنائنا الحضاري. وفي ١٩٨٧م التقيت الأستاذ ميشيل عفلق[1] في بغداد . قلت له أنا أشيد بدورك في الاستنارة العربية ولكن لدي تحفظات:

أولاً: قلتم أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة. هل توجد رسالة غير الإسلام؟ قال: هي الإسلام. قلت: له أنتم اتخذتم نهجاً خلق تناقضاً بين القومية والإسلام ما يوجب مراجعة.

ثانياً: العروبة جامعة بن المسلم والمسيحي في المشرق. لدينا في السودان حيث تعدد الإثنيات هي عنصر مفرق ما يوجب مراعاة الخصوصية هنا.

ثالثاً: الشعار وحدة، حرية، اشتراكية. ولكن تجاوزتم الحرية بالانقلابية فضاعت بقية الأهداف ما يجعل الحرية ذات أولوية. قال: نعم ووعد أن يأخذ هذه الملاحظات في عمل ينشره. ولكنه توفى قبل ذلك وذكرت هذه المعاني في نعيه.

***

(١)**ميشيل عفلق** (١٩١٠ - ٢٣ يونيو ١٩٨٩)، سوري مسيحي، مؤسس حزب البعث الذي أصبح فيما بعد حزب البعث العربي الاشتراكي، نفي من بلاده سوريا البعثية ودفن بالعراق.

الدائرة القارية:

هنالك مصالح قارية مشتركة كما في آسيا، وأفريقيا، وأروبا.

يجمع بيننا في أفريقيا الاتحـاد الافريقـي وهـي دائـرة ذات حقـوق وواجبـات تلزمنا. ربط الأفريقية بالأفريقانية اللونية غير مشروع بل هـو مـن رواسـب الفكـر الامبريالي ومن رواسب علاقات بائدة ربطت بين مكانة الإنسـان ولونـه. الانتمـاء القاري الأفريقي يرتب حقوقاً وواجبات لكـل سـكان القـارة شـمالها، وجنوبهـا، وشرقها، وغربها.

الدائرة الإسلامية:

إن إقامة إمامة جامعة أو خلافة جامعة انتهت بعـد أول ١٥٠ عامـاً مـن تـاريخ المسلمين.

إقامة إمامة أو خلافة واحدة الآن بالقوة أو بالإقناع مهمة مستحيلة. ولكن إقامة رابطة بين الدول، والقوميات الكبيرة بصورة تكفـل لهـا حقوقـاً، وترتـب علـيهم واجبات ممكنة فالمسلمون يشعرون بإخاء نحو بعضهم الآخر، ويمكن أن يجسد هذا الإخاء تكوين باسم الجامع الإسلامي يضم الكيانات الوطنيـة والقوميـة دون أن ينكر حقوقها، ودون أن يمنع انتماء هذا الجامع لأمم متحـدة تضـم دول العـالم كافة .

العلاقات الملية:

نحن المسلمين نمتاز على كثير من الملل الأخرى بثلاثة أمور هي:

- الاعتراف بالإنسان كانسان مهما كان دينه. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[١].
- الاعتراف بتعدد الأديان مهما كانت عقائدهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[٢].

(١) سورة الإسراء الآية (٧٠).

(٢) سورة الكافرون الآية (٦).

- المطالبة بعلاقات مودة مع أهل الملل الأخرى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[1].

إن ملل البشر كثيرة جداً ولا يمكن لأي حوار بينهم أن يبلغ اتفاقاً لاختلاف العقائد اختلافاً كبيراً. ولكن أقصر طريق لتعايش إيجابي بيننا جميعاً هو أن نلتزم جميعاً بمنظومة حقوق الإنسان العالمية.

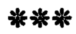
الالتزام بهذه المنظومة يكفل لنا جميعاً التزامات واحدة وثقافة إنسانية موحدة نعامل بعضنا الآخر على أساسها. مبدأ التعايش السلمي بين الأديان، والالتزام بمكارم الأخلاق، والالتزام بمنظومة حقوق الإنسان، واحترام سلامة البيئة الطبيعية، وفض الاختلافات بطرق سلمية، ومحاسبة الجناة جنائياً على الجرائم ضد الإنسانية. هذه المفاهيم ينبغي أن تمثل معاهدة أممية قيمية للبشرية.

الأديان الإبراهيمية:

الصهيونية، والصليبية، وجهاد الطلب، مواقف استقطاب سياسي لا تلزمنا به الأديان الإبراهيمية: اليهودية، والمسيحية، والإسلام.

المطلوب أن نتحرك بجدية تامة لتأكيد المعاني الموحدة للأديان الإبراهيمية. هنالك مفكرون جادون في الثقافة الغربية نشروا كتباً جيدة في هذا الصدد:

- أ. د. رينهارد لاوت نشر كتاباً بعنوان «إبراهيم وأبناء عهده مع الله» أكد فيه من نصوص التوراة أن عهد الله لم يكن مع إبراهيم وإسحاق وحدهما بل ومع إسماعيل كذلك. ووعد الله في التوراة بمباركة إسماعيل وأن يكثره مثل نجوم السماء. هذا معناه إذا لم يتنبأ محمد ﷺ لا يصدق هذا الوعد. الكتاب كله مرافعة قوية تؤكد بشرى إلهية ببركة إسماعيل عليه السلام وذريته.



(١) سورة الممتحنة الآية (٨).

• ونشر الأستاذ روبرت شدنقر[1] كتاباً بعنوان: «هل كان المسيح مسلماً؟» جاء فيه أن المسيح (ع) كان ثائراً ضد القمع الروماني والظلم الاجتماعي. وقال إن السيد المسيح أعلن أنه موحد كسائر اليهود. هذان العاملان التوحيد لله والعدالة الاجتماعية هما ما يميز عقيدة الإسلام وفي هذين الأمرين فإن السيد المسيح نفسه كان موحداً وثائراً ضد الظلم الاجتماعي. هذا جامع بين المسيح (ع) والدعوة الإسلامية.

• من جانبنا نحن المسلمين الآية واضحة: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[2].

هذه أسس يمكن التأسيس عليها للدعوة لإخاء إبراهيمي يدعم الإخاء الإنساني المطلوب ويعمل على إبطال النبوءات في الأديان الثلاثة التي تنذر بيوم فاصل فيه تنتصر ملتهم على الملل الأخرى بإبادة الآخرين. هذا المصير الدموي لا يناسب تقدم الإنسان نحو الرقي. وتقدم الإنسانية نحو الاخاء بل يمثل لوثة روحية أخلاقية: أن إرادة الله تقود الإنسانية إلى محرقة لا تليق بالرحمن الرحيم ولا تليق بقوله ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾[3]. المحرقة الكبرى الموعودة تليق بإله سادي تخالف تماماً صورته سبحانه وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾[4] كما قال الحكيم:

---

(١) الدكتور روبرت شيدينقر **Ropert F. Shedinger**: عمل رئيساً لقسم الأديان والعقائد بجامعة لوثر بولاية أيوا الأمريكية.

Robert F. Shidinger. Was Jesus a Muslim? *Questioning Categories in the Study of Religion*(Fortress Press, 2009.

(٢) سورة آل عمران الآية (٨٤، ٨٥).

(٣) سورة الإسراء الآية (٧٠).

(٤) سورة الأعراف الآية (١٥٦).

يَا عظيمْ الذَّنْبِ عَفْوُ اللَّهِ مِنْ ذَنْبِك أَكْبَرْ
أَكْبَرْ الأشياءِ فِي أصْغر عفو اللَّه تَصْغُرُ

إذا كانت إقامة الدين هكذا دماء وحريق فما أجدر داعش أن تكون بدلها مقدمات من جنسها: لا لداعش ولا لحريق البشرية.

إن اليقظة الفكرية، والصحوة الدينية، كلاهما مطلوب لتحرير حركات الغلو، والتطرف، والإرعاب، من حواضن ثقافية، ودينية، تمنح أعمالهم شرعية. فالاعتقاد، مهما كان باطلاً، يجعل صاحبة يرتكب أفظع الأعمال ويعتقد أن ما يفعله هو عين الحق. لذلك قال أحد فلاسفة ألمانيا، نيتشه[(١)]: الإيديولوجية أعدى للحقيقة من الكذب.

الوافد من العصر:

محصول الإنسانية في كل جوانب الحياة جزء من مقصود الآية: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾[(٢)]. والحكمة متاحة للبشر أجمعين غير مرتبطة بوحي: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[(٣)].

وفي الأثر الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها. وفي مجال الانفتاح على المنافع قال الشيخ المراغي: «ائتوني بأي شيء فيه منفعة للناس آتيكم بجواز الأخذ به في الشريعة».

إن فيما نعرف من أفكار وممارسات حضارة الإنسان الحديثة المبادئ الآتية: اللبرالية، العلمانية، الديمقراطية، الاشتراكية، المساواة بين الرجال والنساء، حرية

(١) فريدريش فيلهيلم نيتشه (١٨٤٤ - ١٩٠٠م): فيلسوف ألماني، ناقد ثقافي، شاعر، وملحن مهتم بعلم النفس. يُعدّ من بين أكبر فلاسفة الغرب في القرن التاسع عشر.

(٢) سورة الذاريات الآيتان (٢٠، ٢١).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٦٩).

البحث العلمي والتكنولوجي، العلاقات الدولية المؤسسة على السلام والتعاون الدولي.

الليبرالية:

اللبرالية هي مبدأ حرية الفرد الشخصية وكفالة الحريات العامة في التعبير، والتنقل، والتنظيم، وكسب المعيشة، بلا تدخل من الجماعة.

هنالك مبادئ لبرالية في الإسلام مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[(١)]. ومقولة الرسول ﷺ للصحابى: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ» ثَلاثَ مَرَّاتٍ «الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ»[(٢)]، وحرية التملك مكفولة وحرية التنقل كذلك. ولكن اللبرالية مبدأ مثالي لا يوجد أبداً بلا قيد. تقيده حريات الآخرين ألا يعتدي عليها، وتقيده مصلحة الجماعة.

العلمانية:

العلمانية اشتقاق من غير قياس من عالم. ومعناها أن المعرفة الحقيقة هي التي نلقطها بحواسنا وتعقلها عقولنا. وعلى هذا الأساس يكون تعاملنا مع الحياة بلا دور لعالم الغيب.

إن في تراثنا الثقافي مقولات علمانية، مثلاً، ما قاله أبو العلاء:

يرْتجي النـاسُ أن يقـومَ إمـامٌ ... نـاطقٌ، في الكتيبـةِ الخرْسـاءِ
كَذَبَ الظـنُّ، لا إمـامَ سـوى العقـلِ ... مشـيراً في صـبْحه والمسـاءِ

قال بيتر بيرقر أحد مؤسسي الفكرة العلمانية: توهمنا أن العلمانية هي شرط الديمقراطية. ولكن تبينا أن الشرط هو التعددية.

---

(١) سورة الكهف الآية (٢٩).

(٢) رواه أحمد.

وقال تشارلس تيلور[1] وهو كذلك علماني: العلمانية التي تنكر حق أصحاب المرجعية الدينية في التعبير عن أهدافهم تخون مبادئها. على أن يقبلوا حقوق الآخرين.

كما في العلمانية كذلك في الإسلام فإن العقل والتجربة هما مناط المعرفة في عالم الشهادة. ولكن العلمانية الأصولية لا تقف عند هذا الحد، بل تنكر عالم الغيب والأسس غير النفعية للأخلاق. التعايش والتفاهم مع العلمانية المعتدلة ممكن بل ضروري.

الديمقراطية:

هنالك مبادئ إسلامية مشتركة فقد مورس مبدأ الانتخاب كما فعل النبي محمد ﷺ لدى اختيار النقباء، ومورس مبدأ الأغلبية كما فعل عمر ﷺ بين الستة المفوضين لاختيار الخليفة. ومورس رأي الجماعة كما في مبدأ الشورى الذي مارسه النبي محمد ﷺ دون انقطاع.

ولكن الديمقراطية توجب أن تكفل للناس حقوق الإنسان، وهي تستند لخمسة أصول: الكرامة، والحرية، والعدالة، والمساواة، والسلام؛ وهي مكفولة في نصوص الوحي الإسلامي.

والديمقراطية توجب الفصل بين السلطات الثلاث: التنفيذية، والتشريعية، والقضائية، ولا سوابق مماثلة لها في الإسلام ولكنها من استحقاقات العدالة والعدالة من مقاصد الشريعة وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

قال الذين يرفضون الديمقراطية ويكفرون دعاتها لأنها تجعل الأمر بيد الناس لا بيد الله. هذا احتجاج باطل فمقولة: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[2] تجعل الأمر بيد

(١)تشارلز مارغريف تيلور Charles Taylor ولد ٥ نوفمبر ١٩٣١م فيلسوف كندي يُعدّ أحد أبرز الفلاسفة المعاصرين في مجال الفلسفة السياسية والفلسفة الأخلاقية.

(٢) سورة الشورى الآية (٣٨).

الناس وهم الذين يراعون إرادة الله باختيارهم. الديمقراطية مع ما توجب من استحقاقات آلية. وعلى أية حال لا يوجد نظام ديمقراطي لا يضع للناس قيوداً باختيارهم. مبادئ الإسلام تتقبل الديمقراطية اللهم إلا في نظر قوم يحجبهم الانكفاء عن إدراك قيمة الديمقراطية في حسم الاختلافات سلمياً وإدراك رحابة الإسلام في السماح بذلك.

روى الشيخ محمد الغزالي(١) أنه في محاضرة في الجزائر قال: حبذا لو أن الصحابيين علي ومعاوية احتكما للصناديق الانتخابية بدل القتال. تصدى له أحد الحاضرين قائلاً: هذه ليست من السنة! رد عليه: وهل اقتتال المسلمين من السنة؟

الاشتراكية:

قال ولفرد سميث(٢) حقيقة وهي أن الإسلام كان أكبر محاولة في التاريخ لتحقيق العدل الاجتماعي.

الماركسية كانت صرخة قوية لإدانة المظالم الطبقية التي صحبت نشأة النظام الرأسمالي. وكانت تلك الصرخة في محلها لأن الظلم الاجتماعي كان على أشده.

وكانت الماركسية كمنهاج تطبق القاعدة الخلدونية بأن الوجود الطبيعي والاجتماعي يخضع لقوانين حاول ماركس(٣) استنباطها، ولكنه أخطأ في ثلاثة أمور: أنه اعتبر المادة هي أصل ما في الوجود الطبيعي والاجتماعي. وهذا غير

---

(١) محمد الغزالي: محمد الغزالي (١٣٣٥ - ١٤١٦هـ/ سبتمبر ١٩١٧ - ١٩٩٦م): عالم ومفكر إسلامي مصري، ومن أبرز العلماء والدعاة في العصر الحديث.

(٢) ولفرد سميث (١٩١٦ - ٢٠٠٠م) **Wilfred Cantwell Smith**، أستاذ جامعي كندي للأديان المقارنة، كان مدير مركز هارفارد لدراسة الأديان العالمية في الفترة (١٩٦٤-١٩٧٣م)، من أبرز رموز حقله في القرن العشرين..

(٣) كارل ماركس Karl Marx (٥ مايو ١٨١٨م-١٤مارس١٨٨٣م)، ألماني، من أهم الفلاسفة الأوربيين في القرن التاسع عشر ويعتبر كتابه "رأس المال" أهم كتاب في الماركسية والفكر الشيوعي.

صحيح. كما اعتبر العمل وحده صانع القيمة الاقتصادية وهذا غير صحيح. واعتبر أن الرأسمالية سوف تستمر في استنزاف الأيدي العاملة حتى تثور وهذا أيضاً غير صحيح.

ولكن بصرف النظر عن نظريات ماركس فإن المبدأ الذي أشار إليه بأن الصراع حول المكسب الاقتصادي إذا غيب العدل يدمر السلام الاجتماعي صحيح. قال توماس بيكتي في كتابه «رأس المال في القرن الحادي والعشرين»[1]: إن عدم توازن توزيع الثروة داخل البلدان وفيما بينها لا يمكن تدارك عواقبه المدمرة إلا بتوزيع عادل للثروة، أو فإن إهمال هذا الجانب معناه الاستعداد لفكرويات عدالية تدفع لمواجهات ذات أسباب اجتماعية. كما قال حافظ إبراهيم:

أَيُّها المُصْلِحُونَ ضاقَ بنا العَيْشُ ... ولَمْ تُحسِنُوا عليه القيامَا
أيها المُصْلِحُونَ أَصْلَحْتُمُ الأرْضَ ... وبِتُّمْ عن النُّفوسِ نيامَا
أَصْلِحوا أنفُسَا أضرَّ بِهَا الفقْرُ ... وأَحْيا بمَوتِها الآثاما

هذه المعاني واردة بشدة في القرآن، والسنة، وأقوال كثير من علماء المسلمين.

ما نشهده اليوم في المنطقة من المحيط إلى الخليج من فقر، وعطالة، وسوء توزيع للثروة والدخل ينذر بعواقب وخيمة.

في هذا الصدد إن للفكر الاشتراكي دوراً مهماً في بناء المجتمعات.

إن لليسار في المنطقة دوراً تنويرياً لأنه:

- ساهم في بناء التنظيم السياسي الحديث، مثل مكتب سياسي، كوادر..الخ.
- ساهم في ريادة قضايا استنارة اجتماعية، مثلاً، في أمر المرأة.
- ساهم في المطالبة باستقلال القرار الوطني.
- رافع من أجل عقد اجتماعي عدالي.

(1) Thomas Piketty ,*Capital in the Twenty-First Century, 2013*

ولكنه إذ ربط هذه المساهمات البناءة بالأيديولوجية الشيوعية أوجد أمامها عقبات.

الأيدلوجيات تنشأ في بيئاتها الفكرية والاجتماعية وتنتقل في أماكن وأزمان أخرى، والعلة أن الموالين لها تنشأ عندهم «أوصولية» ملزمة تحول دون المرونة المطلوبة مراعاة للواقع الزماني والمكاني الجديد.

كنا في سجن كوبر عندما سقط حائط برلين في عام ١٩٨٩م، وبعده طلبت من زملائي في السجن من أعضاء الحزب الشيوعي اجتماعاً حضروه بقيادة الصديق المرحوم محمد إبراهيم نقد. قلت لهم إن لليسار في السودان رأسمال اجتماعي وهذه فرصة أن تقوموا بمراجعة فالدين ليس دائماً رجعياً من الناحية الاجتماعية. والرأسمالية منتجة ولكنها ظالمة في التوزيع، ولكنها قابلة للترشيد فالديمقراطية تمنح فرصة للطبقات المحرومة أن تقود، والوطنية لا يمكن إذابتها نهائياً في الأممية فماذا لو قمتم بمراجعات في أهم هذه الأمور ليقوم اليسار بدوره في إطار ديمقراطي. أنكروا حديثي وقلت لهم إذن أكتب لكم وتردون على كتابة توثيقاً للتاريخ، وقد كان. ومرت الأيام والتقاني الأخ نقد في مأتم في الخرطوم ٣ وقال لي: اعتذر لك أن لم نعط رأيك أهمية!

المرأة:

المعاهدات الدولية بخصوص المرأة كثيرة أهمها سيداو ومعناها إزالة كافة أشكال التميز ضد المرأة.

هنالك نصوص إسلامية تقول بالمساواة في الإنسانية والإيمانية بين الرجال والنساء كقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾[1] وقوله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾[2] وقول النبي

(١) سورة التوبة الآية (٧١).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٩٥).

محمد ﷺ: (إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَال)[1].

وهنالك نصوص تشتمل على تمييز كقوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[2].

ولكن بالاحتكام لمقاصد الشريعة نجد أساساً للمساواة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾[3].

إن نصوص القرآن فيها المحكم والمتشابه. المحكم هو أم الكتاب أي قصد الكتاب: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾[4].

هيئة شئون الأنصار كيان شعبي للأنصار وهم لا يصفون أنفسهم بطائفة لأن الجماعة مبدئياً مفتوحة لكل الذين آمنوا على أساس الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾[5].

ومع أن الهيئة تنسب لكيانات السودان الدينية والتقليدية فإنها بعيدة كل البعد عن النهج التقليدي، وتحمل راية الإحياء الديني، لذلك فقد طبقت نظام الشورى في كل أمرها، وصارت كافة مؤسساتها بما في ذلك الإمامة منتخبة.

نظمت هيئة شؤون الأنصار ورشة لدراسة معاهدة سيداو، وبعد الدراسة قررت قبولها مع إضافات لها لإدخال الاعتبارات الروحية والأخلاقية.

وفي الدراسة تعرضنا لتحفظات بعض الدول الإسلامية على ٦ بنود في المعاهدة هي:

(أ) المادة ٢ من المعاهدة والتي تنص على: عدم التمييز بين البشر. التحفظ

---

(١) سنن أبو داود.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٢٨).

(٣) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٤) سورة آل عمران الآية (٧).

(٥) سورة الصف الآية (١٤).

على هذه المادة باطل.

(ب)المادة ٧: إلزام الدستور بإزالة أية تمييز ضـد المـرأة. الـتحفظ عـلى هـذه المادة باطل.

(ج) المادة ٩: أن يكون للنساء حق في الجنسية لهن ولأطفالهن. أيضاً لا معنى للتحفظ هنا.

(د) المادة ١٥: المساواة أمام القانون وإبرام العقود. وهذا جزء من المسـاواة في المواطنة.

(ه) المادة ١٦: المساواة في أمور الزواج. والزواج في الشريعة عقد مدني يعتمد على إرادة المتعاقدين. وتحديد سن أدنى للزواج وهـذا أيضـاً مـا تتطلبـه الشـريعة بقوله: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ﴾[1] فالنكاح محدد بمرحلة زمانية معينة.

(و) المادة ٢٩: التحكيم بين الدول الأطراف في المعاهدة. ولا معنى للـتحفظ في هذه المادة فكل خلاف أولى به التحكيم.

الأفريقانية:

اشتق اسم أفريقيا من اسم شخص في شمال أفريقيا. ولكن هنالك نزعـة لـربط الأفريقية بالإثنية وهذا باطل، لأن الأفريقيـة تصـنيف جيوسياسـي وتترتـب عليـه علاقات يرعاها الاتحاد الأفريقي، وأفريقيا بهذا المعنى تقوم على أساس التعدديـة الدينية، والثقافية، والاثنية. وأي اعتبار يناقض أفريقيا التعددية هـذه يمـزق القـارة تمزيقاً يحقق ما سعى إليه الاحتلال الأجنبي على قاعدة «فرق تسد».

دعاة الوحدة الأفريقية الحقيقيون اعتبروا أفريقيا كياناً جيوساسياً جامعاً لشـقي القارة شمالها وجنوبها. ولكن جاء قادة متأثرون بعقدة اللـون وعرفـوا الأفريقانيـة تعريفاً لونياً بقولهم:

(١) سورة النساء الآية (٦).

- الأفريقي الأصلي هو ساكن جنوب الصحراء.
- والأفريقي رقم اثنين هم الذين هجروا لأمريكا وجذر الهند الغربية.
- والأفريقي رقم ثلاثة هم سكان شمال أفريقيا.
- والأفريقي رقم أربعة هم سكان أفريقيا من البيض.

حرية البحث العلمي والتكنولوجي:

التقدم في العلوم الطبيعية من إنجازات الإنسانية كلها. صحيح خاضت أوربا أشرس المعارك لتحقيق حرية البحث العلمي والتكنولوجي بصورة غير مسبوقة في التاريخ.

والمدهش أن قسوة القمع لحرية البحث العلمي والتكنولوجي في تاريخ أروبا ساهمت في انتصار حرية البحث العلمي.

الشاهد: حكم على برونو[١] العالم الايطالي بأن يحرق بالنار لمخالفته للدين. قال وهو في الطريق للمحرقة: أيها الغباء المقدس، أنتم وحدكم تفعلون للتقدم وإصلاح النفوس أكثر مما يفعل الإبداع البشري والعلم.

إن من أهم عوامل تفوق الحضارة الغربية انتصار حرية البحث العلمي والتكنولوجي فيها. حرية البحث العلمي والتكنولوجي مبدأ ينبغي أن نطبقه دون أي تحفظ.

كنت وصديق من الأخوان المسلمين في الطريق إلى لندن. وعندما ركبنا طائرة ايربص وهي هيكل ضخم شاهد على تقدم تكنولوجي هائل قال لي متسائلاً: هل يعقل أن من أبدع هذا الانجاز يدخل النار؟ قلت له الآية: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ

(١) جوردانو برونو (نولانو) (١٥٤٨ – ١٦٠٠م): راهب وفيلسوف إيطالي شهير حكم علية بالهرطقة من الكنيسة الكاثوليكية، لاعتناقه نظرية كوبرنيكوس عن دوران الأرض.

ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾[١]. الشاهد في هذا ما يفعلوا من خير فلن يكفروه أي ينكر لهم. قال النبي ﷺ: « الْخَلْقُ عِيَالُ اللَّهِ، فَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ»[٢]. كم من الخير فعل الشخص الذي اكتشف «التخدير» فصار الإنسان يفتح صدره وبطنه ورأسه للجراحة دون أن يشعر بألم؟

جاء في حديث نبوي رواه أحمد في كتاب الفتن بَاب تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ حَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عُلَيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو أَبْصِرْ مَا تَقُولُ قَالَ أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ»[٣].

أهم ما في هذا الحديث أنه لم يربط الكثرة بالأعداد بل بالأخلاق ومعان ثقافية. إذن هي كثرة معنوية لا عددية.

أليس مدهشاً الآن أن مسلمين بأعداد هائلة يهاجرون للغرب «الكافر» بحثاً عن الأمان؟ كان الأسلاف يصنفون بلاد المسلمين دار سلام وبلاد غير المسلمين ديار حرب. أن يحصل العكس وصمة أخلاقية وإنسانية على ديار مسلمين. ما

(١) سورة آل عمران الآية (١١٣، ١١٤، ١١٥).

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي.

(٣) مسند الإمام أحمد في كتابه ٨/ صفحة (١٧٦-١٧٧) ط السلطانية.

أصدق السيدة انجـلا ميركـل[1] المستشـارة الألمانيـة عنـدما قالـت يـوم الأحـد ٣٠/ ٩/ ٢٠١٥م: «سـنخبر أطفالنـا أن اللاجئـين السـوريين هربـوا مـن بلادهـم وكانت بلاد جيرانهم أقـرب لهـم؟ وسـنخبرهم أن هجـرة السـوريين إلينـا كانـت كهجرة المسلمين إلى الحبشة لأن فيهم حاكم نصراني لا يظلم عنده أحد».

قال أحد المسؤولين في الحكومة السودانية لأحد النازحين من بلاد الحـرب في دارفور: أنتم ترحبون بزيارات الكفار لكم في معسكراتكم وتمنعون أخـوانكم مـن المسلمين زيارتكم! رد عليه النازح: شخص أمطر قريتك بالنار واغتصب نسـاءك وشرد أطفالك وآخر حمل إليك الإغاثـة الإنسـانية والـدواء والتعلـيم. قـل أيهمـا الكافر؟

هذه المفارقة صارت محل تندر بين «كفار» مثل بيـل غيـتس المتبـرع بنصـف ثروته لفقراء العالم. باتريس موتسيبيه[2] المتبـرع بنصـف ثروتـه لجمعيـة خيريـة. عليكو دانجوتى[3] المتبـرع بخمسـين مليـون دولار لـدور العجـزة، وفي المقابـل أثرياء عرب يشتري أحدهم لوحة سيارة بمبلغ ٥٧٧ ألـف دولار للمباهـاة. ومـن يشتري مرسيدس مطلية بالذهب بمبلغ ٧ مليون دولار ومن يشتري جمـلاً بخمسـة مليون ريال. أيهم الأقرب للإسلام؟ كثير من أثرياء العرب يتصـرفون في أمـوالهم بأنانية لا تليق بمؤمن، وكثير مـن أثريـاء غيـر المسـلمين يتصـرفون بطريقـة تليـق

(١) **أنجيلا دوروتيا ميركل (Angela Merkel) ولدت يوليو ١٩٥٤م)**: سياسـية ألمانيـة وزعيمـة الاتحاد الديمقراطي المسيحي، أول امراة تتـولى منصـب المستشـار في ألمانيـا؛ منـذ ٢٢ نـوفمبر ٢٠٠٥م.

(٢) **باتريس موتسيبيه (ولد ١٩٦٤)**: ثري جنوب أفريقي تبلغ ثروته ٢٫٦٥ مليار دولار، وهي ثامن أكبر ثروة إفريقية، أول إفريقي يستجيب لحملة تعهد العطـاء التـي أطلقهـا عـام ٢٠١٠ كـل مـن وارن بافيت وبيل غيتس بهدف تشجيع أثرياء العالم للتبرع بجزء كبير من ثرواتهم للأعمال الخيرية.

(٣) **أليكو دانجوتى (ولد ١٩٥٧م)، الحاج**، رجل إعمال نيجيري تقـدر ثروتـه بــ ٢٥ مليـار دولار في ٢٠١٤م، يحتل، المرتبة الـ ٢٥ فى قائمة أثرياء العالم أغنى رجل أسـود عـلى مسـتوى العـالم، تبـرع للعجزة والأيتام ب (٥٠) مليون دولار.

بالإيمان وبالاخاء الإنساني.

علاقتنا بالآخر الدولي:

العالم القديم حكمته إمبراطوريات قامت العلاقات فيها على أساس توازن القوة. ثم تدرج الحال مع تطور الإنسانية فأقام المنتصرون في الحرب الأطلسية الأولى نظام عصبة الأمم. هذا النظام أخفق في منع الحرب الأطلسية الثانية (١٩٣٩- ١٩٤٥م) كانت هذه الحرب الأكثر دموية في تاريخ الإنسانية، لذلك فكر المنتصرون فيها أن يقيموا نظاماً أفضل فأقاموا نظام الأمم المتحدة المؤسس على ميثاق عالمي.

الفكر الإسلامي التقليدي للعلاقات الدولية يقوم على تقسيم العالم إلى أرض سلام هي ديار المسلمين وأرض حرب هي ديار الآخرين.

ولكن في تعامل الدولة الإسلامية التاريخية مع حكومة السودان المسيحية أبرمت علاقة تقوم على العهد وصار الطرفان متعاهدين.

نصوص الوحي الإسلامي تجيز إقامة علاقات مودة مع غير المسلمين. قال تعالى: ﴿ لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [١]. والوفاء بالعهد مع المعاهدين من أحكام الإسلام: ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ [٢].

مبدأ؟ إقامة نظام دولي مؤسس على السلام زالتعلون مبدأ إسلامي وعقلاني.

عيوب النظام الحالي:

(أ) أبرم وعدد الأمم المتحدة ٥١ دولة وهي الآن ١٩٣ دولة.

(ب)أعطيت خمس دول حق النقض في مجلس الأمن ما أحدث شللاً في دور

(١) سورة الممتحنة الآية (٨).

(٢) سورة الإسراء الآية (٣٤).

الأمم المتحدة في حماية الأمن والسلام، بل أتاح فرصة لحماية الظلم كما حصل لإسرائيل ما جعلها تمارس سياسة هولوكست ضد العرب دون تدخل دولي.

(ج) مجلس الأمن الذي يقود الأمم المتحدة معنى بحفظ الأمن بعد أن تقع المصادمات الأمنية بلا إمكانية للقيام بخطة وقائية.

(د) أكثر التحديات الأمنية لم تعد بين دول بل بين جماعات غير حكومية ليس للمجلس آلية للتعامل معها.

(ه) النظام الاقتصادي الدولي الحالي كما اعترف تقرير حوار الشمال والجنوب بقيادة ويلي برانت[1] في الثمانينات راجح لصالح الدول الغنية في الشمال على حساب دول الجنوب.

ولكن بالإضافة لعيوب نظام الأمم المتحدة الذي إذا أريد له أن يصير كامل الشرعية ينبغي أن يخضع لإصلاح يراعي العدالة ومستجدات الواقع وإلا فسوف يواجه تحديات. أقول بالإضافة لهذه المشكلة فإن الدولة الأعظم في العالم تتبع سياسات تصنع رفضاً مشروعاً:

- قال مايكل أورن[2] في كتابه عن سياسية أمريكا في الشرق الأوسط بعنوان: «القوة والإيمان، والخيال». قال: إن دعم الولايات المتحدة لإقامة دولة يهودية في وسط معاد لذلك يؤسس لقيام حروب بلا نهاية في المنطقة. الوعد الإلهي في التوراة لإبراهيم عليه السلام وعد له ولذريته وهي تشمله وتشمل ابنيه إسماعيل واسحق. هذا من ناحية القصص التوراتي. لكن القرار بالهجرة لجبل صهيون لم يكن قراراً دينياً اتخذه أحبار اليهود فهم يربطون الهجرة بآخر الزمان وظهور

(١) ويلي برانت (Willy Brandt)؛ (١٩١٣ – ١٩٩٢م): سياسي ألماني، شغل منصب مستشار ألمانيا (١٩٦٩ – ١٩٧٤)، حاز على جائزة نوبل للسلام بعد الحرب العالمية الثانية: لسياسته تجاه بلدان أوروبا الشرقية.

(٢) *مايكل أورن (ولد مايو ١٩٥٥)*: مؤرخ، كاتب، سياسي، ودبلوماسي إسرائيلي.
Michael B. Oren ,Power, Faith, and Fantasy: America in the Middle East: 1776 to the Present .

المسيح. إنه قرار سياسي اتخذه ساسة يهوديون علمانيون. والحركة الصهيونية لم تكن حركة دينية بل سياسة نشأت في أوربا كرد فعل للعداء للسامية.

والقادة الذين عملوا على إقامة إسرائيل يهود علمانيون.

ووعد بلفور البريطاني للحركة الصهيونية دوافعه سياسية. وقرار الأمم المتحدة لقيام دولة إسرائيل سياسي وبدوافع سياسية أهمها التعاطف مع اليهود الذين بطشت بهم الحركة النازية في ألمانيا.

ونتيجة لهذا السياسية ارتكبت جريمة إنسانية وسياسية على حساب أهل فلسطين.

هذه السياسة الظالمة شردت الشعب الفلسطيني، وغرست عداءاً دائماً مع الدول والشعوب العربية والإسلامية.

إن هذا التوتر والتظلم والحروب المصاحبة له من أهم أسباب التطرف والعنف الذي يصحبه.

وكل المحاولات لإيجاد حل سلمي للتوتر والحروب والانتفاضات باءت بالفشل التام.

آخرها اتفاق أوسلو المعيب، الذي لم يمنع إفراغ إسرائيل لكل معانيه بفرض حصار على مخرجاته، والعمل على إفراغ القدس من سكانها العرب، والتمدد في الاستيطان في أراضيهم، ورفض حق اللاجئين في العودة بموجب القرار الدولي رقم ١٩٤ . وتهديد العرب الذين بقوا في إسرائيل بعد النكبة، والتهديد المستمر للمسجد الأقصى. آخر حلقات هذا العدوان هو اقتحام صهاينة بقيادة منظمة الهيكل للمسجد الأقصى منذ ١٣/ ٩/ ٢٠١٥م وإثارة انتفاضة ثالثة.

إن الظلم الصهيوني وما يحظى به من دعم أمريكي خاصة من أهم عوامل التشدد الوطني، والقومي، والإسلامي وعلى أية حال فإن مقاومة الاحتلال

مشروعة دينياً ووضعياً.

إن استمرار هذا الظلم الفادح وعجز الـدول العربيـة في التصـدي لـه مـن أهـم أسباب نزع الشرعية عنها وكذلك من أهم أسباب نزع الشرعية من النظام الدولي.

هذه الحقائق كذلك مـن أهـم أسـباب جاذبيـة حركـات التطـرف والعنـف في العالمين العربي والإسلامي.

- قالت السيدة كونداليسا رايس[1] في محاضرة لهـا في جامعـة القـاهرة عـام ٢٠٠٥م: إن بلادي ظلـت لمـدة ٦٠ عامـا تـدعم حكومـات الطغيـان في الشـرق الأوسط بهدف المحافظة على الاستقرار. فما حققته وأعاقت الديمقراطية.

ولكن من أهم ما استفز مشاعر المسلمين فافرز التطـرف عوامـل مهمـة هـي: هيمنة السياسات العلمانية دولياً، ظهور تحالف إنجيلي صهيوني يوجـه السياسـات الأمريكية. وفي ندوة في الرياض قال الأستاذ محمد قطب: نحن نرحب بالسياسات الأمريكية العدوانية، وبالتطرف الصهيوني لأن هذه العوامـل مـن شـأنها أن تـوقظ المارد الإسلامي ليتصدى لهذا الظلم ويهزمه. قال هذا في عام ٢٠٠٢م.

هذا ما يفسر دور سياسات غربية معينة في إثارة التطـرف في الجسـم الإسـلامي عامة.

أما في منطقتنا فإن للسياسة الغربية دورها المهم في رعاية القاعدة في أفغانسـتان كجزء من مطالب الحرب الباردة، ودورها في احـتلال العـراق وتطبيـق سياسـات أعلت شأن الشيعة والأكراد وهمشت أهل السنة مـا أفـرز التشـدد السـني عـلى يـد داعش ثم «الدولة الإسلامية».

إذن السبب هو إدارة الحرب الباردة ونتائج الاحتلال غير المشروع للعراق.

---

(١) كوندوليزا رايس ١٤ نـوفمبر ١٩٥٤م: وزيـرة خارجيـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة السـابقة (٢٠٠٥ – ٢٠٠٩م)، ومستشارة للأمن القومي (٢٠٠١ – ٢٠٠٥م).

العلاقة بين المنطقة العربية والغرب:

لأول مرة في التاريخ هنالك تداخل سكاني كبير بين هذه المنطقة والغرب ولأسباب كثيرة انطلقت ظاهرة الإسلاموفوبيا[1] وهي مشاعر أشبه ما تكون باللاسامية التي واجهت اليهود في الماضي.

ومع التناقض الديمغرافي الغربي دق بعض الكتاب ناقوس الفزع بأن المنطقة الأوربية سوف تفقد هويتها لتصير بدل أوربا يورابيا. هذا ما قالت به الكاتبة بات مائير[2] وردد مثله كثيرون.

في المقابل يوجد آخرون يقولون عكس ذلك بل ينسبون نهضة أوربا نفسها لهذه العلاقة. قال روبرت بريلفوت[3] في كتابه: «تكوين الإنسانية»: «التنوير الحقيقي لأوربا حدث نتيجة للإحياء العربي الثقافي لها عبر أسبانيا»؟

وقال الأستاذ منتجمري واط في كتابه: «أثر الإسلام على أوربا العصور الوسطى»: «إن أوربا خشيت الإسلام على هويتها لذلك أنكرت دينها له وبالغت في اعتمادها على تراث اليونان وروما. علينا اليوم أن نخلص أنفسنا من هذا الزيف ونعترف بديننا الحضاري والثقافي للعالم الإسلامي».

هذا الوعي المستنير هو الذي يمكن أن يهزم الإسلاموفوبيا ويخلق مناخاً إيجابياً في التعامل بيننا.

---

(١) الفوبيا أو الرهاب مرض نفسي يعني الخوف الشديد والمتواصل من شيء أو شخص أو حالة ما. وحينما تضاف كلمة فوبيا في اللفظ تعني الخوف المرضي أو الرهاب منه. الإسلاموفوبيا تعني الخوف المرضي من الإسلام، والإسلاموفيليا تعني محبة الإسلام.

(٢) بات مائير (القاهرة ١٩٣٣م): يهودية مصرية. أول من صاغت مصطلحات الذمية (Dhimmitude)، ويورابيا (Eurabia) في إشارة إلى تحالف محتمل بين الدول العربية والأوروبية هدفه القضاء على إسرائيل.

(٣) Briffault, Robert The Making of Humanity, London 1919 – روبرت بريفلوت (١٨٧٦ – ١٩٤٠) طبيب بريطاني شارك في الحرب العالمية الأولى ثم تحول من الطب إلى الكتابات في الأنثروبولوجيا والاجتماع.

وبينما كان ممثلون للاتحاد الأوربي يتحدثون عن أهمية مواجهة الإسلام لتعزيز شعور أوربا بهويتها وهو ما يقول به دعاة تقيدا (أي أوربيون وطنيون ضد أسلمة بلدانهم) فإن مسؤولة الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوربي السيدة فيدريكا موغيريني قالت (٢٤/ ٦/ ٢٠١٤م) في بروكسل في «مؤتمر الإسلام وأوربا» حديثاً ودياً مستنيراً قالت: الإسلام هو أوربا. وأوربا هي الإسلام قالت: إن التعددية هي مستقبل التكتل الأوربي الموحد. والإسلام له مكانه الطبيعي في المجتمع الأوربي.

في المقابل توجد كراهية الغرب أي شيطنة الغرب. الحضارة الغربية حققت للإنسانية منجزات عظيمة ما يوجب الاعتراف بها والعمل على إبرام معاهدة تعاون شامل. معاهدة يرجى أن يقترحها المفكرون الإستراتيجيون في المنطقة لتقدم بعد ذلك لصناع القرار لاعتمادها أساساً في التعامل المنسق للمصالح المشتركة.

العولمة:

أ. هنالك عولمة فرضها إدراك البشر لمصلحة مشتركة في كوكب الأرض المقام المشترك للإنسان. والأصول المشتركة للبشرية كأعماق البحار، والفضاء، والغلاف الجوي، والقطبين مملوكات للبشرية وتوجب نظرة مشتركة في التعامل معها.

ب. هنالك عولمة فرضها الوعي الإنساني بالمصير المشترك للإنسانية، وتوالت المؤتمرات العالمية لتدرس موضوعاتها المختلفة، ولتضع إستراتيجية موحدة للتعامل مع مشكلاتها. مثل: مؤتمر البيئة ١٩٩٢م، ومؤتمر السكان ١٩٩٥م، والمؤتمر الاجتماعي ١٩٩٦م وما تلاها من مؤتمرات مماثلة.

ج. هنالك العولمة التي ارتبطت بالعبارة أكثر من غيرها.. العولمة التي صنعتها ثورة المعلومات والاتصالات والمواصلات والتي حولت المعاملات التجارية، والمالية، والاستثمارية إلى سوق عالمي واحد. هذه العولمة مكنت

أصحاب السندات، والأسـهم، وطـلاب الصـفقات التجاريـة مـن الانتقـال عبـر الآليات الالكترونية بسرعة مذهلة وعـلى نطـاق عـالمي، كمـا مكنـت الشـركات متعددة الجنسـية مـن توزيـع عملياتهـا عـلى نطـاق عـالمي، ومـن نقـل خياراتهـا الاستثمارية حيث التكلفة أقل والربح أكثر.

هذه الوجوه الثلاثة من العولمة والاستعداد لإدارة الملكية الكوكبية المشتركة، وبرنـامج المصـير الإنسـاني المشـترك، والسـوق العـالمي الـذي فتحتـه ثـورة المعلومات والاتصالات تمثل عولمة حميدة.

هنالك عولمة خبيثة هي:

(أ) صحبت العولمة ظاهرة الرأسمالية النفاثة وهي حماسة للتنافس والربحيـة تندفع غير مبالية بآثار سلبية إنسانية واجتماعية لا سيما في مجالين:

- **المجال الأول**: أن تؤدي العولمة المرتبطة بالرأسمالية النفاثة إلى تراجع عن دولة الرعاية الاجتماعية. كذلك عدم الاهتمام بالآثار السلبية التي تحدثها وسائل الإنتاج الحديثة على توظيف الأيدي العاملة. لقد كانت الإصـلاحات التـي اتبعهـا النظام الرأسمالي المسـتنير فـاهتم بمصـالح القـوة العاملـة، واتبـع بـرامج رعايـة اجتماعية من أهم أسباب صنع السلام الاجتماعي في البلدان الرأسمالية مما أبطل نبوءات كارل ماركس[1] الصدامية. العولمـة غيـر المرشـدة سـوف تقـوض هـذه التدابير.

- **الثاني**: تراجع الشمال المتقدم من المفاهيم والسياسـات التـي أوصـى بهـا حـوار الشـمال والجنـوب في الثمانينـات وأوجبـت اهتمـام الشـمال بالتنميـة في الجنوب كوسيلة من وسائل بناء الاستقرار العـالمي. مثلمـا حققـت الرأسـمالية

(١) كارل ماركس Karl Marx (٥ مايو ١٨١٨م-١٤مارس١٨٨٣م)، ألماني، مـن أهـم الفلاسـفة الأوربيين في القرن التاسع عشـر ويعتبـر كتابـه «رأس المـال» أهـم كتـاب في الماركسـية والفكـر الشيوعي.

سلاماً اجتماعياً في أوطانها بسياسات نقابية مستنيرة وبرامج رعاية اجتماعية متقدمة فإن الدول الغنية مطالبة بالاهتمام بتنمية الجنوب الفقير لبناء السلام والاستقرار في العالم. ولكن الراجح في ظل تيارات العولمة هو ترك هذه الأمور كلها لعوامل السوق الحر.. ولكن السوق في البلدان الفقيرة ليس حراً كما يجب. كما أن العالم المتقدم لا يسمح بحركة الأيدي العاملة بحرية، وتمنع قوانين الملكية الفكرية انتقال التكنولوجيا بحرية.

(ب)توزيع الثروة والقوة الاقتصادية في العالم توزيع غير متوازن. أتاحت العولمة بإمكانات الاتصال والمعلومات والمواصلات للقوة الأعظم في العالم فرصة هيمنة إعلامية بحيث تستطيع غسل أدمغة الآخرين. وأتاحت لها فرصة هيمنة اقتصادية وإستراتيجية لم يعهد التاريخ مثلها من قبل. إن العولمة في هذا المجال صارت هيمنة الأقوى والأقدر.

(ج) وأتاحت وسائل العولمة فرصاً كبيرة للجريمة المنظمة فصارت معولمة من حيث التخطيط، والتدريب، والتنفيذ.

(د) ثورة المعلومات والاتصالات أتاحت فرصة لثقافة التسلية غير المراعية لأية ضوابط أخلاقية لتصير هي ثقافة العالم.

هذه الوجوه الأربعة من العولمة الرأسمالية النفاثة، واختلال ميزان الثروة، والقوة العالمي، والجريمة الدولية المنظمة، وثقافة التسلية السادرة، تمثل عولمة خبيثة. ومن شأنها إثارة مشاعر مضادة للعولمة تعبر عنها حركات التطرف والعنف.



ختام

نحو آفاق جديدة

بعد خمس سنوات من ظاهرة «الربيع العربي» وظهـور مآلاتـه في البلـدان التـي شهدت هذا الربيع كثرت أوصاف إدانته بأنه: خريف، أو خراب، أو مؤامرة، أو أنه ربيع المغفلين. وهلم جراً.

العالم في الغالب تحول مـن حكـم الفـرد إلى حكومـات المشـاركة والمسـاءلة والشفافية وسيادة حكم القانون كما حدث في أوربا وأمريكا وبعـد ذلـك في أوربـا الجنوبية، وأمريكا الجنوبية، وأوربا الشرقية، وأفريقيا جنوب الصحراء.

العـالم العربـي مـن المحـيط إلى الخلـيج صـار اسـتثناءاً مـن هـذا التحـول الديمقراطي.

الديمقراطية هي مأسسة لكفالة حقوق الإنسان النابعة من خمسـة أصـول هـي: الكرامة، والعدالة، والحرية، والمساواة، والسلام.

وهي أصول ثابتـة في قطعيـات الـوحي الإسـلامي، وثمـرة تجـارب الإنسـانية الصاعدة.

ولكن في المحيط العربي أفلحـت نظـم الحكـم الاسـتبدادي أن تحـافظ عـلى سلطانها عقوداً من الزمان حتى صارت الظاهرة توصف بالاستثناء.. هذا السلطان استطاع أن يقمع الاجتهاد الفكري، والاجتهاد السياسي، ويبطل التطور السياسـي لذلك لم يسبق الربيع العربي انتشار حركة وعي فكري، وثقافي، وسياسي.

الحركات الشبابية التي أطاحت برؤوس الاستبداد استخددمت وسائل مبتكرة غافلت أجهزة الأمن الطاغية ولكنها لم تكن منظمة ولا مستقطبة لقـوى اجتماعيـة

مثابرة.

ومع أن النظم الاستبدادية أفلحت في قمع الفكر، والتطور السياسي، فإنها لأغراضها القمعية طورت أجهزة الأمن والدفاع حتى كانت أشبه بدولة في حضن الدولة.

بعد الإطاحة بالرؤوس لم تبق في الساحة السياسية إلا قوى الولاءات الموروثة القبيلة، والطائفية، والإثنية، والقوى الدينية الإسلامية والمسيحية التي حافظت على وجودها عبر أنشطة دينية، واجتماعية. هذا إلى جانب قوى التطرف الإسلاموي.

الولاءات الموروثة بطبيعة حالها استقطابية تقود مع المشاحنة لحروب أهلية. القوى السياسية الدينية كثير منها معتمد على تعبئة عاطفية وخدمية اجتماعية تمنحها شعبية ولكن لا تؤهلها لإدارة الواقع الاجتماعي والدولي الحديث. في هذه الظروف لم يبق إلا الدولة الحضينة والدولة المارقة.

موجة التاريخ التي تجعل الأمة العربية الإسلامية منطقية مع مبادئ عقيدتها السياسية ومنطق العصر الحديث وهما يستوجبان نظاماً يكفل منظومة حقوق الإنسان المنطلقة من الأصول الخمسة: الكرامة، والعدالة، والحرية، والمساواة، والسلام؛ موجة مهما تأخرت مصيرها أن تعم.

الدولة الحضينة على أحسن الأحوال سوف تعود إلى المربع الأول مربع القابلية للانفجار. والدولة المارقة ليست مستدامة لأنها تعتمد على مرجعية ماضوية خالية من منهاج التدبر، وتنافح واقع العصر الذي تعيش فيه.

إن المستقبل المجدي متعلق بطبعة ثانية مجدية للربيع العربي تقوم على صحوة فكرية، وعقد اجتماعي، وقوى اجتماعية مصممة على تحقيقه.

نعم الإرهاب من وسائل أنشطة القاعدة وداعش، بل هي أدخلت أساليب أبلغ في الوحشية كالاستعراض بقطع الرؤوس، وحرق الضحايا والإكثار من الاستقتال

في شكل سلاح دمار شامل. ولكن مفاهيم الإرهاب المعهودة لا تكفي لفهم هـذه الظواهر، إنها تحدٍ لنظام الدولـة الوطنيـة، ونظـام الأمـم المتحـدة، لإقامـة نظـام حوكمة وعلاقات دولية مستنبط من أعمـاق الماضـي، وخـارج مـن نهـج التـدبر الإسلامي، ومن الواقع السياسي والدبلوماسي المعاصر.

وهو في ذلك يلبي أشواق قوى اجتماعية حقيقية، ويتحـدى نظـم حكـم عليهـا مآخذ حقيقية، ويتحدى نظاماً دولياً فيه عيوب حقيقيـة؛ وحتـى في قسـوة أسـاليبه يستشهد بسوابق تاريخية في تراثنا، بعضها زائف وبعضها حقيقي كحـرق العُصـاة، والتمثيل بجثث القتلى.

كثير من الحكومات وسعت مفهوم الإرهاب لكي تدين به كل مخالفيها.

هنالك الآن مخاوف عميقة وحقيقية من الإرهاب بـرر لحكـام اتبـاع ماكارثيـة جديدة وأمنية.

ومثلما انتشرت هذه المكارثية الجديدة توسـع الجهـاديون الجـدد في مفـاهيم التكفير واستباحة دماء وأموال الناس.

الفكر الواعي مطالب بإلحاح ببيانات واضحة لمفـاهيم الإرهـاب، ولمفـاهيم الجهاد منعاً لهذا الاستغلال الباطل.

فالضابط ضد المكارثية ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]. والضابط ضد الإرهاب أن يعرف بصورة واضحة ليشـمل الإرهـاب الأهـلي والإرهـاب الرسـمي فـلا يسـمح باسـتخدامه شـماعة لإدانـة المعارضين.

ولكن هنالك قضايا جوهرية ينبغي مخاطبتها:

أولاً: هنالك حرب أهلية فكرية في المنطقة، والحرب أولها كلام:

---

(١) سورة المائدة الآية (٨).

- مقولة أصولية إسلاموية بالولاء والبراء، ونتيجتها الانفراد بدعوى الفرقة الناجية، وتكفير الآخرين واستباحة دمائهم قنبلة موقوتة لا تلبث أن تنفجر، وتقابلها قنبلة أخرى هي مقولة الأصولية العلمانية التي تعمل على طرد المرجعية الإسلامية من الشأن العام. ههنا ينبغي إجراء مراجعات أساسية للتعايش في إطار حقوق الإنسان، وشرعية التعددية، والاحتكام للآلية الديمقراطية.

- مقولة الروافض التي تكفر الشيعة، ومقابلها مقولة النواصب التي تكفر أهل السنة؛ وبالتالي التحضير لمواجهات العنف. مقولتان تمثلان قنابل موقوتة تدمر السلام الاجتماعي داخل الدول وفيما بينها، ههنا الحاجة ماسة لتطورات مستنيرة للتعايش والتعاون في المتفق عليه، والحوار بالتي أحسن فيما يقبل التفاهم، وتعليق ما يستحيل الاتفاق فيه على أساس: في الوقائع: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [1] وفي المعتقدات: ﴿ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [2].

- مقولة الدعوة للإسلام بحد السيف، وإن هذا هو الأسلوب الذي انتشر به الإسلام باطلة. نعم خاض المسلمون معارك، وحققوا فتوحات نتيجة لمواجهات سياسية بين دول. ولكن الدعوة للإسلام لها ضابط واضح ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [3].

ثانياً: شرعية الحكم بمقياس الإسلام وبمقياس الوعي الإنساني تقوم على المشاركة، والمساءلة، والشفافية، وسيادة حكم القانون؛ ما يوجب تطوير النظم الجمهورية للوفاء بهذه الاستحقاقات، وتطوير النظم الملكية للتوفيق بينها وبين الملكية على أساس الملكية الدستورية.

(١) سورة البقرة الآية (١٣٤).

(٢) سورة الحج الآية (٦٩).

(٣) سورة النحل الآية (١٢٥).

ثالثاً: الشعار الإسلامي فيما يتعلق بحقوق الإنسان، والمقاصد، شعار جامع وقادر على التوافق مع غير المسلمين. ولكن مطلب تطبيق أحكام الشريعة واردة فيه التفرقة. لذلك وعلى أساس اجتهاد مقاصدي، ينبغي الاتفاق على دليل يتناول الأولويات، ومطالب الواقع زماناً ومكاناً، وعلى أساس مقاصد الشريعة: تغير الأحكام بتغير الزمان والمكان، والطاعة قدر الوسع، وغيرها من المبادىء المضيئة.

رابعاً: العدالة السياسية لا تكتمل إلا إذا سندتها عدالة اجتماعية. إن عدم عدالة توزيع الثروة والدخل بين السكان، وبين الدول إقليمياً ودولياً يمنع التوازن. والتوازن سر الاستقامة. إن الغبن الاجتماعي أكبر مهدد للسلام الاجتماعي القطري، والإقليمي، والدولي. لا بد من عقد اجتماعي محكم وعادل بين السكان، وبين وحدات الانتماء الإقليمي، وبين دول العالم. النظام الاقتصادي العالمي الحالي خطر على السلم والأمن الدوليين. عجبت للاهتمام بمنع انتشار أسلحة الدمار الشامل وإهمال الدوافع لامتلاكها. الحرص على امتلاك أسلحة الدمار الشامل تحكمه ثلاثة عوامل: الإمكانات المادية، والمعرفة التكنولوجية، والدوافع. الإمكانات المادية، والمعرفة التكنولوجية متوافرتان. ما ينبغي التأثير فيه هو الدوافع.

خامساً: قضية احتكار المعرفة بل وجذب حامليها إلى خارج أوطانهم. لقد صار تفاوت المعرفة لا سيما التكنولوجية أهم وسائل القوة الناعمة لزيادة قوة الأقوياء. وتجريد الضعفاء. الحاجة ماسة لوضع ضوابط لنزيف العقول، والحاجة الماسة لمراجعة قوانين براءة الاختراع بصورة توفق بين تحرير التبادل التكنولوجي وتميز المبدعين والمخترعين.

سادساً: ومن النواحي الثقافية والتنموية هنالك حاجة لعلاقات خاصة مع دول أفريقيا جنوب الصحراء ومع دول حوض النيل، ومع الدول المتشاطئة في البحر الأبيض المتوسط.

سابعاً: العلاقات الدولية القائمة على أساس نظام الأمم المتحدة حالياً تتطلب مراجعات على أساس:

- أنها صيغت عندما كانت العضوية ٥١ دولة وهي الآن ١٩٣ دولة. لا بد من إعطاء صوت للحضور الجديد.

- تحقيق العدالة، فالنظام الحالي يمنح دولاً خمساً حق النقض بصورة أدت إلى تعطيل دور الأمم المتحدة في تحقيق الأمن والسلام الدوليين. المساواة على أسس يتفق عليها من شروط الديمقراطية.

- وضعت نظم الأمم المتحدة في وقت تركزت الأهمية على مساجلات القوة بين الدول. الآن صارت المسائل الاجتماعية والبيئية ذات أهمية كبرى، كذلك تنامي دور منظمات المجتمع المدني المختلفة. الأمم المتحدة الآن تعمل كأنها حكومات متحدة. هذا يتطلب مراجعة لنظام الأمم المتحدة لمراعاة المستجدات. النظام الدولي الحالي وضعه المنتصرون بعد الحرب الأطلسية الثانية وكان عدد الدول ٥١ دولة وهم الآن ١٩٣ دولة. ووضع في مناخ جعل الأولوية للعلاقات بين الدول وعلى أساس أمني علاجي ولكن في السنوات منذئذٍ اشتعلت الحروب في كل مكان لأسباب دينية، وفكرية، ما يوجب الاهتمام باستراتيجية وقائية.

إن الذي يغذي العنف الآن هو اختلافات عقائدية، وفكرية، فالأمن والسلام الدوليين يستوجبان التركيز على نهج وقائي.

وحتى في صعيد الأمن والسلام بين الدول، فإن وضع حق النقض في يد خمس دول منع اتخاذ قرارات ضرورية للسلام والأمن مهما كان رأي أغلبية الدول لأن إحدى الدول الخمس استخدمت حق النقض.

كما أن العامل الاقتصادي بين العالم الغني والعالم الفقير صار من أهم أسباب التحدي للأمن والسلم الدوليين، حقيقة أدت لتكوين لجنة برانت لحوار الشمال والجنوب في الثمانينات من القرن العشرين، ولكن توصياتها أهملت.

كذلك اتخذت الأمم المتحدة أهداف الالفية في عام ٢٠٠٠م والآن قرارات التنمية المجدية. ولكن هذه القرارات لا تنفذ لعدم وجود آلية للمساءلة ما يعني استمرار التظلم وخطره على السلم والأمن الدوليين.

ثامناً: ثورة المعلومات والاتصالات مع حرية السوق كونت حقيقة العولمة، وهي حلقة متقدمة من حلقات تطور الإنسانية ينبغي الترحيب بها. ولكن العولمة مع وجود توازن قوى إستراتيجي وإعلامي لصالح الدول الغنية يجعل العولمة أمركة أو أية دولة تملك الإمكانات. هذا يتطلب الاتفاق على ميزان للعولمة حتى لا تواصل دورها الحالي بخلق إمبريالية جديدة بوسائل القوة الناعمة.

تاسعاً: الدولة الوطنية هي أفضل وسيل لإدارة الشأن السياسي وتوفير الأمن وتحقيق التنمية، ولكنها حتى بعد الاتفاق على أسس جديدة للحوكمة ليست كافية، فهنالك تطلعات لعلاقات عبر الحدود بين الدول: تطلعات لرابطة قومية، ولرابطة إسلامية، ولمعاهدة دولية. المطلوب هو إيجاد معادلة للتوفيق بين هذه التطلعات فهي تنطلق من انتماءات حقيقية، وروابط لا تقوم على القهر بل على حرية الاختيار.

عاشراً: نعم علينا أن نطور الرابطة العربية، ولكن هذه الرابطة تشدها حتماً علاقات أمنية مع ثلاث دول مجاورة: تركيا، وإيران، وإسرائيل. العلاقة الإقليمية مع تركيا وإيران ضرورية. وأما إسرائيل فينبغي أن تواجه بشروط سلام تحقق المطالب الفلسطينية والعربية المشروعة.

هذه القضايا العشر كفيلة إذا لم تخاطب بالوعي والجدية اللازمة بفتح نوافذ التشظي، وللثورات الاجتماعية المنكفئة، وبفتح النوافذ الإمبريالية جديدة.

وهذه احتمالات واردة، وبقدر احتمالاتها المدمرة فإنها تتيح فرصة تاريخية تجعل من الأزمة فرصة:

ما صفا البحر إلا وهو منتقص ... وما تعكر إلا في الزيادات!

من الذين يستطيعون الإقدام على هذه الفرصة؟

هنالك الآن عشرات من مراكز البحث والدراسة في كل أركان العالم العربي مـا يوجب عليهم الإقدام على تقديم اجتهاد فكري، وعقد اجتمـاعي جديـد، وأسـس للعلاقات الإقليمية، ولنظام دولي أعدل وأفضل.

سوف أجعل من هذا الكتـاب أساسـاً لخطـاب المفكـرين والعلمـاء، ورجـال ونساء الدولة والإعلام، عسـاهم يتنـادون لمنبـر جـامع يقـدم تشخيصـاً للحالـة، وتوصيات لعلاجها، مستفيدين من أطروحات هذا الكتـاب. وأخـص بالمناشـدة منتدى الوسطية العالمي، ومركـز القـدس للدراسـات السياسـية، ونـادي مدريـد لعضويتي فيها، ولكن النداء مفتوح لكل من ﴿أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.

